أثر المغايرة الصَّرفيَّة
في القرآن الكريم
(دراسة في البنية والدَّلالة)

د. هند محمد طه شحاته
مدرس بقسم أصول اللغة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات بالزقازيق-جامعة الأزهر

أثر المغايرة الصَّرفيَّة في القرآن الكريم (دراسة في البنية والدَّلالة)

هند محمد طه شحاته
أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب بسراة عبيدة، جامعة الملك خالد- المملكة العربية السعودية.
مدرس بقسم أصول اللغة- كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنات بالزقازيق- جامعة الأزهر.
البريد الإلكتروني: hshehta@kku.edu.sa

ملخص البحث:

عنوان البحث" أثر المغايرة الصَّرفيَّة في القرآن الكريم، دراسة في البنية والدَّلالة " يتضمن هذا البحث المغايرة الصرفية في ألفاظ القرآن الكريم، والبحث في دلالة الصيغ المتشابهة، بحث في التَّنوُّع الأسلوبيّ؛ لأنَّه مرتبط بالتَّحليل اللُّغويِّ، فالمغايرة بين الألفاظ ظاهرة أسلوبيَّة خاضعة للسِّياق، ترجع أهمية هذا الموضوع؛ لتعلقه بالقرآن الكريم، تميز البحث بالربط بين جوانب اللغة من: الدراسة الدلالية والدراسة الصرفية، والنحوية، البلاغية، والصوتية ودمج هذا الخليط كله؛ ليتحقق الهدف في معرفة مفهوم المغايرة الصرفية في القرآن الكريم، ومعرفة الدقائق اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم . من أهداف البحث: ضرورة دراسة الآيات المتشابهة لمعرفة أوجه الفرق، وربط الآيات المتشابهة بجوانب اللغة: النحوية، والصرفية، والدلالية، وبلاغية. المنهج المتبع في البحث: اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي، وقد جاء البحث في مبحثين تسبقهما مقدِّمة، وتليهما خاتمة، ثُمَّ ثبت بالمصادر والمراجع. المبحث الأوَّل: "المغايرة في صيغ الألفاظ" وفيه: المطلب الأول: " صيغ الأسماء المطلب الثاني: " صيغ الأفعال" المطلب الثالث: " الصيغ بين الاسميَّة والفعليَّة" المبحث الثاني: "أحوال صيغ الألفاظ" وفيه: المطلب الأول: التَّعريف والتَّنكير. المطلب الثاني: التَّذكير والتَّأنيث. المطلب الثالث: الأفراد والجمع. الخاتمة: تضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث. ثُمَّ ثبت بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: البنية – الدلالة – التذكير التأنيث الأفراد الجمع الأسماء – الافعال.

The effect of morphological heterogeneity in the Noble Qur’an (a study of structure and significance)

Hind Mohammed Taha Shehata

Assistant Professor, College of Science and Arts, Sarat Abidah, King Khalid University - Saudi Arabia.

Lecturer, Department of Language Foundations - College of Islamic and Arabic Studies - Girls in Zagazig - Al-Azhar University.

Email: hshehta@kku.edu.sa

Abstract: The title of the research is "The effect of morphological variation in the Holy Qur’an, a study of structure and significance". This research includes morphological variation in the words of the Holy Qur’an, research in the significance of similar formulas, research in stylistic diversity; Because it is linked to linguistic analysis, the variance between terms is a stylistic phenomenon subject to the context, due to the importance of this topic; As it relates to the Noble Qur’an, the research was distinguished by linking aspects of the language: semantic study, morphological, grammatical, rhetorical, and phonological study and merging all of this mixture; To achieve the goal in knowing the concept of morphological variation in the Holy Quran, and knowledge of linguistic and rhetorical minutes in the Holy Quran. From Research Objectives: The necessity of studying similar verses to know the aspects of difference, and linking similar verses to aspects of language: grammatical, morphological, semantic, and rhetoric. The method followed in the research: The researcher relied on the descriptive approach. The research came in two studies preceded by an introduction, followed by a conclusion, and then proven by the sources and references. The first topic: “variation in the formulas of words” and in it: the first requirement: “formulas for names” the second requirement: “formulas for verbs” The second: masculine and feminization The third requirement: individuals and plural Conclusion: The conclusion included the most important findings of the research, then it was proven by the sources and references

Key words: structure - connotation - masculine feminine individuals, plural nouns - verbs.

المقدِّمة

يتضمن هذا البحث المغايرة الصرفية في ألفاظ القرآن الكريم، وقد قمت في بدايته بتعريف المغايرة وهي" تَغَيَّرَ الشيْءُ عَن حَاله: تَحَوَّلَ. وغَيَّرَهُ: جَعَلَه غَيْرَ مَا كَانَ. وغَيَّرَهُ حَوَّلَهُ وبَدَّلَهُ، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٥٣)، الأنفال: قَالَ ثَعْلَب: مَعْنَاهُ حَتَّى يُبَدِّلُوا مَا أَمَرَهُم الله. والاسْمُ من التَّغْيير الغَيْرُ، عَن اللِّحْيَانيّ، وأَنشد: إِذْ أَنَا مَغْلُوبٌ قَلِيلُ.. غَيَّرَه، إِذا أَعْطَاهُ الدِّيَةَ. وأَصْلُها من المُغَايَرَةِ، وَهِي المُبَادَلَة، لأَنَّهَا بَدَلٌ من القَتْلِ.."(١)

والصرف في اللغة: التغيير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ البقرة: ١٦٤: أي تغييرها.

واصطلاحاً: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعان مقصودة، لا تحصل إلا بها، كاسمي الفاعل والمفعول واسم التفضيل، والتثنية والجمع، إلى غير ذلك. (٢)

ثم تعرضت للمغايرة في ألفاظ القرآن الكريم، نحو: (التَّعريف والتَّنكير، والتَّذكير والتَّأنيث، والاسميَّة والفعليَّة)، وما ينطوي تحتها من جزئيات تُعد وجهًا من وجوه إعجازه، ولونًا من ألوان بلاغته وفصاحته.

فهذه المغايرة في الصِّيغ في السِّياق القرآنيّ، أو العُدُول من صيغة إلى صيغة أخرى يُعدُّ أحد روافد التَّحليل اللُّغويّ، بل يمثِّل إحدى الوسائل التي تساعد على التَّماسك؛ حبكًا وسبكًا؛ للوصول إلى الغاية الدَّلاليَّة من تشاكل

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ج١٣/ ٢٨٧- تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، وينظر: لسان العرب ج٥/ ٤٠، ٤١- الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

(٢) شذا العرف في فن الصرف :١٣ - تأليف: أحمد الحملاوي-دار الغد الجديد - المنصورة-د.ت.

الألفاظ، يقول ابن الأثير: "اعلم أيُّها المتوشِّح لمعرفة علم البيان، أنَّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة و البلاغة، الذي اطَّلع على أسرارها، وفتَّش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كلِّ كلام فإنَّه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقِّها، وأغمضها طريقًا"(١).

والبحث في دلالة الصيغ المتشابهة، بحث في التَّنوُّع الأسلوبيِّ؛ لأنَّه مرتبط بالتَّحليل اللُّغويِّ، فالمغايرة بين الألفاظ ظاهرة أسلوبيَّة خاضعة للسِّياق، فمتى كان المقام مقتضيًا للمغايرة، ومراوحة الأسلوب بين فنٍّ وفنٍّ وجدنا النَّظم القرآنيَّ منسجمًا مع هذا التَّغايُر بأبلغ سبيل، ومتى كان المقام مقتضيًا لاستمرار الأسلوب على طريقة، أو فنٍّ واحد وجدت البلاغة متحقِّقة في النَّظم. والبحث في الصِّيغة من خلال سياقها يُعدُّ من أهم القرائن اللَّفظيَّة التي تُعين على فهم الخطاب، فالصِّيغة قادرة على تفسير السِّياق الخطابيِّ وخاصَّة فيما يتعلَّق بنظم القرآن الكريم

وكان من أبرز دوافع البحث وأهميته:

١-ترجع أهمية هذا البحث؛ لتعلقه بالقرآن الكريم، وأنه يعد من أعظم وأجل العلوم للدراسة، فالله ﷻ أنزل كتابه المبين وجعله دستور أحكامه المبين؛ فاحكم نظامه وأتم بنيانه.

٢-تميز البحث بالربط بين جوانب اللغة من: الدراسة الدلالية والدراسة الصرفية، والنحوية، البلاغية، والصوتية ودمج هذا الخليط كله؛ ليتحقق الهدف في معرفة مفهوم المغايرة الصرفية في القرآن الكريم، ومعرفة الدقائق اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج ٢ / ١٢. ـ تحيق ـ أحمد الحوفي، بدوي طبانة –دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . الفجالة . القاهرة –د.ت.

٣-تضمن البحث مادة لغوية غزيرة، ففي الموضوع: العديد من المسائل الصرفية والتحليلات اللغوية والدلالية والصوتية والبلاغية.

٤-الردُ على من يتخذ في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم ذريعة للطعن وخلافه

أهداف البحث:

١-بيان الإعجاز اللفظي واللغوي في القرآن الكريم.

٢-ضرورة دراسة الآيات المتشابهة لمعرفة أوجه الفرق.

٣-بيان قيمة دراسة الأسلوب القرآني ككل، وليس أخذ كل آية مفردة في فهم آياته.

٤-ربط الآيات المتشابهة بجوانب اللغة: النحوية، والصرفية، والدلالية، وبلاغية.

٥- ضرورة الربط في الدراسة بين: كتب التفاسير، وعلوم القرآن، وعلوم اللغة

المنهج المتبع في البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي، وذلك بشرح القضايا شرحاً يسيراً . ثم ضرب أمثلة متعددة عليها وتوضيح الفروق بين تلك الأمثلة التي يتم تناولها.

وقد جاء البحث في مبحثين تسبقهما مقدِّمة، وتليهما خاتمة، ثُمَّ ثبت بالمصادر والمراجع:

المبحث الأوَّل: "المغايرة في صيغ الألفاظ" وفيه:

المطلب الأول: " صيغ الأسماء " وقد اشتمل على:

أ – اختلاف أبنية اسم الفاعل. ب – بين التَّفضيل واسم الفاعل.

ج – بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة. د – تبايُن صيغ الجموع.

المطلب الثاني: " صيغ الأفعال" وتتضمَّن:

أ – أبنية الفعل بين التَّجريد والزِّيادة.

ب – بناء الفعل للمعلوم والمجهول.   ج – تعاقب أبنية الفعل.

المطلب الثالث: " الصيغ بين الاسميَّة والفعليَّة" وفيه:

أ – بين الفعل المضارع واسم الفاعل.   ب – بين الفعل المضارع والمصدر.

المبحث الثاني: "أحوال صيغ الألفاظ" وفيه:

المطلب الأول: التَّعريف والتَّنكير. المطلب الثاني: التَّذكير والتَّأنيث.

المطلب الثالث: الإفراد والجمع.

الخاتمة: تضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث. ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول

اختلاف أبنية الألفاظ

أولا: أبنية الأسماء:

أ – اختلاف أبنية اسم الفاعل:

تختلف صيغ الوصف المشتق في القرآن الكريم من موطن لآخر؛ تبعًا لسياقها، مثاله: صيغة مشتبه – اسم فاعل – جاءت في الأنعام قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ٩٩﴾. بينما جاءت صيغة متشابه – اسم فاعل – في الأنعام قوله سبحانه: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ١٤١﴾ فما السرُّ في اختلاف صيغتي اسم الفاعل في السِّياقين؟ وما سبب التَّخصيص؟

اتفقت كلمة كثير من العلماء من لغويين ومفسرين على عدم التفرقة بين مشتبهًا، ومتشابهًا وأنهما لغتان بمعنى واحد، فذهب كثير منهم إلى مجيء تفاعل بمعنى افتعل، وعلى رأس القائلين بذلك الإمام سيبويه الذي يرى أن: "تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدًا. ولا يجوز أن يكون معملاً في مفعولٍ، ولا يتعدى الفعل إلى منصوب. ففي تفاعلنا يلفظ بالمعنى الذي كان في فاعلته.، وذلك قولك: تضاربنا وترامينا وتقاتلنا. وقد يشركه افتعلنا فتريد بهما معنى واحدًا، وذلك قولهم: تضاربوا واضطربوا، وتقاتلوا، واقتتلوا، وتجاوروا، واجتور وتلاقوا، والتقوا."[١].

---

(١) الكتاب ـ تح. عبد السلام محمد هارون: ص ٩٦– ط٣–القاهرة– مكتبة الخانجي– ١٩٨٨م.

وتبعه ابن السراج. [1]، والرازي. [2]، وابن الزبير الغرناطي. [3]، والنسفي. [4]، وأبو حيان الأندلسي. [5]، وابن عاشور [6] في التسوية بين متشابه واشتبه وغير ذلك ممَّا يشترك

الافتعال والتَّفاعُل. وهما يشتركان كثيرا في معنيهما: يقول النسفي: "مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها، نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا أو تقديره والزيتون متشابهاً وغير متشابه والرمان كذلك يعني بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم "[7]

ويصرح ابن الزبير الغرناطيّ بعد ما سوى بين الصِّيغتين الافتعال والتفاعل، سرَّ تغاير الاستعمال القرآنيّ في السِّياقين، ورد في أولى الآيتين على أخفِّ البناءين، وفي الثَّانية على أثقلهما؛ رعيًا للتَّرتيب المتقرر. [8]

---

(١) الأصول في النحو ج٢/١٢٠ تحقيق: عبد الحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت د.ت.

(٢) مفاتيح الغيب "التفسير الكبير ج١٣/ ١١٠. ط٣. دار إحياء التراث العربي . بيروت . ١٤٢٠هـ.

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: ص ١٦٦ . وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي . دار الكتب العلمية . بيروت د.ت.

(٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ج١ / ٥٣٦- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو . دار الكلم الطيب . بيروت . ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٥) البحر المحيط في التفسير ٤/ ٦٠٠ تحقيق: صدقي محمد جميل، . دار الفكر – بيروت . ١٤٢٠ هـ.

(٦) التحرير والتنوير ج٧/٤٠٢ . الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤ هـ.

(٧) تفسير النسفي ج ١/ ٥٣٦.

(٨) ملاك التأويل: ص ١٦٦.

ووافق ابن عاشور ما ذهب إليه ابن الزُّبير ولكنه يلمح سرًا بلاغياً وهي: للتَّفنُّن في الكلام وكراهية إعادة اللَّفظ بعينه؛ ولأنَّ في اسم الفاعل من التَّشابه – متشابه – أسعد للقارئ في حال الوقف عليه لما فيه من مدِّ الصَّوت بخلاف متشابه وهذا من بديع الفصاحة. (١)

ولكن قام أصحاب المعاجم بالتفرقة بين اللفظين وكذلك علماء اللغة فالفعل اشتبه أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال، وأنَّ تشابه أكثر ما يفيد المشاركة في معنى من المعاني:

يقول ابن منظور: "الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم. وأَشْبَه الرجلُ أُمَّه: وَذَلِكَ إِذَا عَجَزَ وضَعُفَ؛ عَنِ ابْنِ الأَعرابي؛ وأَنشد: أَصْبَحَ فِيهِ شَبَهٌ مِنْ أُمِّهِ........ مِنْ عِظَمِ الرأْسِ وَمِنْ خُرْطُمِّهِ. والمُشْتَبِهاتُ مِنَ الأُمور: المُشْكِلاتُ. والمُتَشابِهاتُ: المُتَماثِلات."(٢)

ويؤيد ابن سيده قائلا:" الشِّبْهُ والشَّبَه والشَّبِيه: الْمثل، وَالْجمع أشْباهٌ. وأشبه الشَّيْء الشَّيْء: ماثله، وَفِي الْمثل: " من أشبه أَبَاهُ فَمَا ظلم وَبينهمْ أشباه، أَي أَشْيَاء يتشابهون فِيهَا. .... وشَبَّه عَلَيْهِ: خلط عَلَيْهِ الْأَمر حَتَّى اشْتبهَ بِغَيْرِهِ."(٣)

وأرى أنَّ الصِّيغتين ليستا بمعنى واحد من حيث الدَّلالة السِّياقيَّة، فهناك فرق دقيق بينهما فالفعل اشتبه أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال، وأنَّ تشابه أكثر ما يفيد المشاركة في معنى من المعاني وتخصيص كلِّ آية بالصِّيغة التي وردت فيها؛ لأنَّ الزِّيادة في المبنى تعطي زيادة في المعنى، فكلُّ لفظة اختصَّت بموطنها المناسب. مراعاة للدلالة السياقية التي وردت فيها

---

(١) التحرير والتنوير ج٧ / ٤٠٢.

(٢) لسان العرب ج١٣ / ٥٠٣

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت . ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠م، ج٤ /١٩٣.

الآيات. فسياق الآية الأولى في بيان قدرة الله عز وجل وآياته الظاهرة في خلقه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ... فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا... وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ... وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [الأنعام ٩٥-٩٩]. وسياق الآية الثانية في بيان الأطعمة وما أحله الله وما حرمه الكافرون على أنفسهم افتراء وكذباً؛ قوله تعالي: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الأنعام : ١٣٦).

ب – بين التَّفضيل واسم الفاعل:

جاءت صيغة أفعل التَّفضيل في قوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (هود:٢٢) ، وصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (النحل :١٠٩) فما السر في التغير بين الصيغتين؟ وهل هناك فرق دلالي بينهما؟

اختلفت نظرة العلماء في بيان وجه المغايرة بين الصِّيغتين في سياقيهما فذهب فريق إلى إبراز دور السياق في الآيتين، فهذا الإمام الإسكافي يرى إن الآية التي في سورة هود قد تقدمه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (هود:١٩) ، ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (هود:٢٠) وإنما قال في هود سبحانه وتعالي: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (هود:٢١) لأنهم صدوا عن الدين، وصدوا غيرهم عنه صدا استحقوا تضعيف العذاب، فهذا ل(للأخسرين) دون (الخَاسِرين) وكذلك مراعاة لما قبله من الفواصل (يُبْصِرُون).

وأما التي في سورة النحل فإنها في آية لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا غيرهم، وإنما قال تعالي فيهم: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (النحل:١٠٧) فلم يذكر ما يــوجب تضعيـف العذاب [١]

وتبعــه "الكرمـانيُّ" بإرجاع المغايرة بين الصيغتين في تراكيبها إلى السِّياق الذي سيقت فيه الآيات [٢]، ووافقهم في ذلك كل من "الألوسي" [٣]، "والفيروز بادي" [٤]، والإمام "ابن الأنصاري السنبكي."[٥]

أما الفريق الثاني فقد اتخذ من صيغة التفضيل (هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ) التي تحمل معنى التفاوت و المقارنة بين الأشياء أساسا للتفريق بين الصيغتين فيرى ابن الزبير الغرناطي أن آية "هود" تقدمها (ما يفهم) المفاضلة، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ**...﴾ (هود: ١٧)، الآية يفهم من سياقها أن المراد: أفمن كان على بينة من ربه كمن كفر وجحد (وكذب) الرسل؟ ثم تتابع الآيات التي تفيد التفضيل (أفعل من كذا) من قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾ (هود:١٧)، وفي هود أيضا قوله تعالي: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ**﴾ (هود:١٨) ، و قولـه تعـالي ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ**

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج٢ / ٧٥٤.

(١) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة. ص١٤٣.

(٢) روح المعاني ج١٥٤/١٠، ١٥٥.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م. ج ٢٤٨/٢، ٢٤٩

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ـ تحقيق: محمد علي الصابون، دار القرآن الكريم . بيروت – لبنان .١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م، ج١ /٢٦٣.

رَبِّـهِ...إلى قولـه: ﴿هُـمُ الْأَخْسَـرُونَ﴾ (هـود:١٧-٢٢)، ، ولـو ورد هنـا (ٱلْخَاسِرُونَ) مكان (الأَخْسَرِين) لتنافى النظم القرآني وبعد السياق ولم يتناسب مع الآيات.

وأما آية (النحل) فلم يقع قبلها أفعل التي للمفاضلة والتفاوت ولا ما يفهمهما، وإنما قبلها قوله تعالي: ﴿...الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل:١٠٥) ، وقوله تعالي: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (النحل:١٠٧) ، هذه الفواصل واتفاقها في اسم الفاعل المجموع جمع السلامة فتناسبت مع الآية في السياق والفواصل.[١] مراجعة

وأوضح الإمام الألوسي صيغة التفضيل وما فيها من جمال بأن الخسران الأعظم هو خسران الآخرة وما في هذه الدنيا من خسران لا يقاس ولا يفضل بينهما فكان المقصود بيان أنَّ خسارتهم في الآخرة أشدُّ من خسارتهم في الدُّنيا فيقول:"(هم الخَاسِرُون) لبيان أن ما في الآخرة أعظم العذابين بناء على أن (الأخْسَرِين) أفعل تفضيل، والتفضيل باعتبار حالهم في الدارين أي هم في الآخرة أخسر منهم في الدنيا لا غيرهم كما يدل عليه تعريف الجزأين على معنى أن خسرانهم في الآخرة أعظم من خسرانهم في الدنيا من حيث إن عذابهم في الآخرة غير منقطع أصلًا."[٢]، وافقه فيما ذهب إليه كل من "أبو حيان"[٣]،" وابن عاشور"[٤].

---

(١) ملاك التأويل ج٢/٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١٠ /١٥٥.

(٣) البحر المحيط ج٦/١٣٨.

(٤) التحرير والتنوير ج١٤/٢٠٨

مما سبق يتضح أن السياق اللغوي والحالي للآيات ومراعاة الفواصل القرآنية يدلان على شدة الخسران في الآخرة أكبر وأعظم من خسران الدنيا وهو ما يحمله صيغة التفضيل.

ج – بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة:

تغايرت الصِّيغتان – ساحر وسحَّار – في سياقين، الأولى في سياق سورة (الأعراف) في قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف:١١٢) والثانية في سياق سورة الشعراء في قوله تعالي: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٣٧). أشار الخطيب الاسكافي بأن القائل في سورة الأعراف هو فرعون وذلك لملئه، (ساحر) وفي الثانية (سَحَّار) هي قول الملأ من قومه فيقول:" فكيف اختصت سورة الأعراف بحكاية ما قال الملأ، وسورة الشعراء بما قاله فرعون؟ فكان قول فرعون للملأ حوله سابقا قول الملأ"[١]

وجاء في الكشاف للزمخشري ما يؤيد ذلك ولهذا استعمل صيغة المبالغة ليهدوا من قلق فرعون وخوفه مما جاء به موسى (عليه السلام)فيقول: "جاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه."[٢] وتبعه الرازي [٣] وابن حيان[٤] ومحمد عضيمة [٥] ويعلل "ابن جماعة" اتيان سَحَّارٍ بصيغة المبالغة: "لتوافق ذكر السحر الذي ورد في سورة الشعراء بتقدُّم (بِسِحْرِهِ) في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف:٣٥) استعملت صيغة اسم الفاعل (ساحر) في آية

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج٢ / ٦٤٨،٦٤٩ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣ . دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧ هـ، ج ٣١١/٣.

(٣) مفاتيح الغيب: التفسير الكبير ج ٢٤ /٥٠٢.

(٤) البحر المحيط في التفسير ج ١٢٣/٥.

(٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة. ١٤٠٤هـ، ج٧ /١٠.

الأعراف؛ لعدم الحاجة إلى المبالغة في الوصف، حيث الآية السابقة لم يذكر فيها السحر، وهي قول الله تعالي: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (١١٠) "[١]، ووافقه د/ محمد داود في معجمه[٢]

في حين اخرج العلاَّمة الطاهر ابن عاشور في سياق التحدث عن صيغة (فَعَّال) في سورة الشعراء: من كونها للمبالغة إلى كونها من صيغ النسب والصنعة أي من صنعته السحر، فيقول "وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ (سَحَّار) وهنالك " ساحِرٍ" (الْأَعْرَاف: ١١٢) السَّحَّارُ مُرَادِفٌ لِلسَّاحِرِ فِي الِاسْتِعْمَالِ لِأَنَّ صِيغَةَ فَعَّالٍ هُنَا لِلنَّسَبِ دَلَالَةً عَلَى الصِّنَاعَةِ مثل النجّار والقصّار وَلِذَلِكَ أُتْبِعَ هُنَا وَهُنَاكَ بِوَصْفِ عَلِيمٍ، أَيْ قَوِيِّ الْعلم بِالسحرِ."[٣]

ومما سبق يتضح أن دلالة التَّغاير بين الصِّيغتين في كُلٍّ: أنَّ الفاعل من السِّحر: ساحر فهي اسم فاعل أي من كان يشتغل بالسحر، أمَّا سحَّار فهي للمبالغة أو إن كانت للصنعة فهي في كلٍ تدل على الحاذق المتمرس في المهنة كما أشارت كتب اللغة وأصحاب التفاسير فقد وُصِفَ بلفظ: سحَّار الاحتياج المبالغة واتبعه بوصف عليم ووصفه يدلُّ على تناهيه فيه، وحذقه به؛ فناسب لذلك أن يُذكروا بالاسم الدّال على المبالغة في السِّحر.

د – تبايُن صيغ الجموع:

هاتان الصَّيغتان (خطايا وخطيئاتكم) من الصِّيغ الدَّالَّة على الكثرة أو القلَّة، حيث وردت الصَّيغة الأولى في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:٥٨) ، وهي الدلالة على

---

(١) كشف المعاني فى المتشابه من المثانى: ص١٩١ تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف: دار الوفاء . المنصورة – ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

(٢) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: ص ٤٤٦ –دار غريب –القاهرة –٢٠٠٨ م.

(٣) البحر المحيط في التفسير ج ٥/ ١٢٣.

الكثرة، وجاءت الصِّيغة الثَّانية سورة الأعراف في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦١) وهي الدلالة على القلة.

فلماذا عبر في سورة البقرة بصيغه الكثرة، وفي سورة الأعراف بالقلة؟ وهل يوجد فرق دلالي بين اللفظتين؟

اهتم العلماء بهذه الظاهرة – تعاقب الصِّيغتين – وأخذوا يعللون السر في استعمال كل صيغة في مكانها باحثين على النكت البلاغية وراء هذا الاستعمال. وقد أخذ الموجِّهون يُعلِّلون لتلك الظَّاهرة وهم على ذُكر من هذه التَّفرقة المعنويَّة، بل التمسوا لإيثار صيغة على أخرى نكات بلاغيَّة كانت هي الدَّاعي إلى الالتفات لموضع كلِّ صيغة في سياقها.

فقد أشار "الخطيب الإسكافيُّ" على السياق اللغوي بين موضع سورة البقرة (مكسَّرًا)، وموضع سورة الأعراف (سالمًا)، فخصَّ الصِّيغة الأولى بالتَّكسير؛ لأنَّ الله سبحانه أخبر في هذه الآية عن نفسه بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ فلمَّا أسند الفعل إلى نفسه سبحانه ناسب أن يذكر الخطايا التي تدلُّ على الكثرة؛ لأن جموع التكسير– ما عدا أربعة أبنية التي هي: أفعل وأفعال وأفعله وفعله– إنما ترد في الغالب للكثرة، فطابق الوارد في البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنعم، ولمَّا لم يُسند الفعل إلى نفسه في آية الأعراف بنى الفعل للمجهول فقال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ أتى بلفظ خطيئات التي هي جمع مؤنث سالم للقلَّة فجاء كُلٌّ على ما يناسب، السياق الذي وضعت فيه، وافقه في ذلك: الكرمانيُّ(١)، والرَّازيُّ(٢)، والسِّيوطيُّ(٣)

(١) البرهان في متشابه القرآن : ص١١٠.
(٢) مفاتيح الغيب ج٣ص٩٢ وينظر نفسه ج٢ /٥٢٦.
(٣) الإتقان في علوم القرآن ج٣/٣٤١.

وخالف الألوسي ما ذهب إليه الإسكافي في بناءه على التفرقة بين الصيغتين هو السياق اللغوي، وكذلك الحكم عل الصيغ بالكثرة أو القلة كما قال علماء اللغة، وإنما السياق هو المحدد للدلالة على الكثرة، والقلة فمراعاة كلمة (الغفران) في آية البقرة ، وآية الأعراف "**نَغْفِرْ لَكُمْ**" أولى من رعاية (وإذ قيل .وقلنا لهم)؛ لتعلُّق الغفران بمحو الخطايا، ثم يضيف نكتة بلاغية في التفرقة بين الصيغتين وهو التفنن في التَّعبير، حيث قال: "وبالجملة التَّفنُّن في التَّعبير لم يزل دأب البلغاء وفيه من الدَّلالة على رفعة شأن المتكلم ما لا يخفى، والقرآن الكريم مملوء من ذلك"(١) فحين يشير ابن الزُّبير إلى دور السياق التركيبي في تخصيص كل كلمة في مكانها وكانت القضية التي بين أيدينا هي المسألة الخامسة من مسألة في عقد المقارنة بين سورة البقرة وسورة الأعراف، ففي سورة البقرة ورد جمعها في البقرة مُكسَّرًا؛ ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النِّعم والآلاء التي أعطاها الله لبني إسرائيل، وأمَّا الجمع بالألف والتَّاء فبابه القلَّة، لم تُبنَ أيُها من قصد تعداد النِّعم عليهم فلم يكن من باب الكثرة كسورة الأعراف بل كان المقام توبيخ لهم(٢)

وزاد ابن جماعه على ما قاله ابن الزبير بانه في البقرة ناسب استعمل صيغة الكثرة ذلك؛ لأنه نسب القول إليه –سبحانه وتعالى – وناسب وجود قوله: "**فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا**"، وأما آية الأعراف فناسب صيغة القلة ذلك؛ لأنه: افتتحت الآيات بتوبيخ بني إسرائيل على قولهم ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ (البقرة:١٣٨) ثم اتخاذهم العجل، فناسب ذلك (وإذ قيل لهم. وناسب ترك (رغدا).(٣)

---

(١) روح المعاني ج ١/٢٦٧.

(٢) ملاك التأويل ج ١ /٢٠٧، وينظر نفسه ج ١ /٢٦ .

(٣) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ج ١/ ٩٦ ، ٩٧.

ويشير الراغب في مفرداته إلى الفرق بين ما كان فعلاً مقصوداً وما كان غير مقصود من الأفعال قائلاً " فالخطيئة هاهنا هي التي لا تكون عن قصد إلى فعله ... والجمع الخطيئات والخطايا، وقوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ (البقرة: ٥٨)، فهي المقصود إليها، والخاطِئُ هو القاصد للذّنب، وعلى ذلك قوله في الحاقة: ﴿ولَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (٣٦) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾(٣٧)، وقد يسمّى الذّنب خَاطِئَةً في الحاقة قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ (٩) أي: الذنب العظيم، وذلك نحو قولهم: شعر شاعر. فأما ما لم يكن مقصودا فقد ذكر سبحانه وتعالى أنّه متجافى عنه، وقوله تعالى: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ (البقرة:٥٨)، فالمعنى ما تقدّم."(١) ومن خلال ما سبق يتضح أن اختلاف الصّيغتين بين السُّورتين مع كون القصة واحدة يرجع إلى السّياق فهو المحدّد الأساس لدور الكلمة في الاستعمال اللُّغويّ لا النصوص الجامدة التي وضعها علماء اللغة في تحديد صيغ القلة والكثرة وانما يرجع إلى المعنى وهو :إِنَّ هَذِهِ الذُّنُوبَ تُغْفَرُ لَهُمْ جميعها إِذَا فَعَلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوَ فِعْلٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ قَلِيلَةً أَوْ كَثِيرَةً.(٢).

الأنبياء والنبيين:

وكذلك تتعاقب الصّيغتان النبييّن، والأنبياء في سياقيهما، حيث وردت الصّيغة الأولى جمعًا سالمًا، في آية البقرة قوله تعالى ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ .... ﴾ (٦١)، ووردت صيغة الجمع المكسَّر في آل عمران قوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾ (١١٢) أشار الكرماني أن اختلاف الصيغتين مرده إلى السياق اللغوي ففي آية البقرة ورد جمع السَّلامة لموافقة ما

---

(١) المفردات في غريب القرآن ج ٢٨٨/١ـ تحقيق: صفوان عدنان الداودي ط٣ – دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت . ١٤١٢ هـ.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م، ج ٢١٤/٩.

بعده، حيث جُمِعَ جَمعَ سلامة، في نحو: الذين والصَّابئين، في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ (٦٢)، أمَّا آية آل عمران التي وردت بالجمع المكسَّر فهي بخلاف ذلك.(١) وتبعه الفيروزآبادى.(٢) وبالرجوع إلى الآيات في سورة آل عمران وجدت أن السياق الذي فيه الصيغة تنتهي فواصله بجمع السالم فالآية التي قبلها، تعالي: ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (١١١) ﴿... ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (١١٢) وفي سورة البقرة فقد خرجت كلمتي " الَّذِينَ، وَالنَّصَارَى" (٦٢) من جمع السلامة . واتجه ابن الزبير الغرناطي إلى التفرقة بين الصيغتين يرجع إلى ما دال عليه جمع السالم في كونه جمع للعاقل فقط وإن وجد فى غيرهم فبحكم الإلحاق والتشبيه كقوله تعالى في يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤) ، وأما جمع التكسير فهو للعقلاء وغيرهم فمجيء جمع السلامة فى قوله سورة البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (١١٢) مناسب لسببين إحداهما شرف الجمع لشرف المجموع وهو النبيين والثانية مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف فى لفظ الحق. ولما لم يكن فى آية آل عمران سوى شرف المجموع وكانت العرب تتسع فى جمع التكسير فتأتي بها على أولى العلم وغيرهم أتى بالجمع (الأنبياء) جمع تكسير؛ لتحصل اللغتان حتى لا يبقى لمن تحدى بالقرآن حجة إذ هم مخاطبون بما فى لغاتهم فلا يقصر في شيء من خطابهم على أحد الجائزين دون الآخر. (٣)

ومن خلال تدبر كلام ابن الزبير فإن شرف الجمع يتحقق في (النبين والأنبياء) وأما المد مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف فى لفظ الحق، فإن

(١) البرهان في متشابه القرآن: ص١١٢.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١/ ١٤.

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ج١/ ٤٣.

المد متحقق في الصيغتين ف(النبيين) لأنه مد طبيعي و(الأنبياء) لكونه مد لازم يُمَّد أربع أو خمس حركات. ولكن السياق له دور في استعمال أبنية القلة أو الكثرة تخرج الصِّيغة الدِّالة على القلّة عما وضعت له وهي دلالة العدد من ثلاثة إلى عشرة لتدل على الكثرة والتي تدل على العدد ما لا نهاية وكذلك الحال من أبنية الكثرة وفقا لما يرده السياق وليس منصباً أو متجمداً في القواعد التي قالها العلماء.

ثانيًا: أبنية الأفعال:

أ- أبنية الفعل بين التَّجريد والزيادة:

فقد وظف القرآن الكريم في آية الكهف فعلين هما (اسْطَاعُوا) و(اسْتَطَاعُوا) فيقول الله ﷻ: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ (الكهف: ٩٧)، وكلاهما يعود إلى أصل اشتقاقي واحد هو مادة (طَوَعَ) فما السر في اختلاف الوحدة الصرفية لصيغة الفعلين ؟ وهل يوجد فرق دلالي بينهما؟

اختلفت كلمة العلماء في التفريق بين الصيغتين فذهب فريق من المفسرين واللغويين كالمرادي [(١)]، وأبو زرعة، وبابن جرير [(٢)]، وابن جني[(٣)] العكبري.[(٤)]، وأبو حيَّان[(٥)]،أنه لا فرق بين الصيغتين وأنهما بمعنى واحد وأن حذف تاء الافتعال في (اسْطَاعُوا) إنما هو للتخفيف، ذلك؛ لأن (التاء) قريبة في المخرج الصوتي من (الطاء) يقول أبو زرعة: " فَمَا (اسْطَاعُوا) أَن يظهروه

(١) إعراب القرآن أبو جعفر النحوي ج ٢ /٢٠٧. وضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم . ط٢. دار الكتب العلمية. بيروت –١٤٢١ هـ.
(٢) جامع البيان ج١٦/٢٢.
(٣) الخصائص ج١/٢٦٠.
(٤) التبيان في إعراب القرآن ج ٢/٨٦٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة د–ت.
(٥) البحر المحيط ج٦/١٦٥.

وَمَا (اسْتَطَاعُوا) لَهُ نقبا، فما (اسْطَاعُوا) بتَخْفِيف الطَّاء وَالْأَصْل فَمَا اسْتَطَاعُوا فحذفوا التَّاء كَرَاهَة الْإِدْغَام وَالْجمع بَين حرفين متقاربي الْمخْرج."(١).

وذهب فريق ثاني إلى مراعاة السياق اللغوي في التفرقة بين الصيغتين وبهذا قال: الخطيب الإسكافي. (٢)، والكرماني وابن جماعه. (٣)، والفيروزآبادي (٤) ابن الأنصاري السنبكي. (٥)

ويوضح الكرماني مراعاة السياق اللغوي في قَوْله {فَمَا اسطاعوا أَن يظهروه وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نقبا} اخْتَار التَّخْفِيف بحذف التاء (اسْتَطَاعُوا) فِي الأول لِأَن مَفْعُوله حرف وَفعل وفاعل ومفعول فَاخْتَارَ فِيهِ الْحَذف، وَالثَّانِي مَفْعُوله اسْم وَاحِد وَهُوَ قَوْله (نقبا) فبقى على صيغته وهي الافتعال(٦).

وعلل بعض العلماء المحدثين على التاء المحذوفة تاء الخفة والسبب أنها حذفت من الفعل تسهيلا وتخفيفا ووجه الخفة أنّ الجملة أخبرت عن عجزهم عن تسلق السّد، وهذا التسلق يحتاج إلى سرعة المتسلق ومهارته ورشاقته أولا ولأنه يحتاج إلى خفة، ليتسلق بسرعة، ولذلك حذفت التاء. أما الفعل الثاني: وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً فإنّ التاء بقيت فيه، لأنّه الأنسب للسياق، والمتفق مع الجو العام، للمجهود المبذول وذلك أنّ نقب السّد وهدمه يحتاج إلى

---

(١) حجة القراءات ١/ ٤٢٥ محقق الكتاب: سعيد الأفغاني . دار الرسالة. د–ت.
(٢) درة التنزيل ١/٨٨٣.
(٣) كشف المعاني فى المتشابه من المثاني ج ١ / ٢٤٤.
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج٢/٢٩١ – تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
(٥) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١ / ٣٤٦، تحقيق: محمد علي الصابوني، الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان . ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
(٦) أسرار التكرار في القرآن ج ١/١٧١.

جهد ومشقة وثقل ووقت، يحتاج إلى أدوات للحفر والنقض، بقيت التاء للثقل للمناسبة بين الصيغة ومدلولها.(١)

وذهب فريق ثالث من أن هناك فرقا بينهما، وذلك بناء على القاعدة الترجيحية أن (الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى). واستدلوا على ذلك بناء على القواعد العربية المعروفة عند الجمهور من علماء اللغة أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى؛ ولهذا السبب ذهب أصحاب هذا القول إليه. ومنهم: ابن كثير، وابن عاشور (٢)، وفي ذلك يقول ابن كثير في قوله تعالي في آية(الكهف) ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ**﴾ وهو الصعود إلى أعلاه، ﴿**وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾، وهو أشق من ذلك، فقابل كلا بما يناسبه لفظًا ومعنى(٣) ووفاقهم ابن عثيمين قائلاً: في آية(الكهف): ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ لم تأتِ التاء في الفعل الأول (اسْطَاعُوا) وأتت فيه ثانياً، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أيهما أشق أن يصعدوا الجبل أو أن يَنقبوا هذا الحديد؟ الجواب: الثاني أصعب

ولهذا قال: وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا لأنه حديد ممسوك بالنحاس، فصاروا لا يستطيعون ظهوره لعلوه وملاسته، فيما يظهر، ولم يستطيعوا له نقباً لصلابته وقوته، إذاً صار سداً منيعاً وكفى الله شر هؤلاء المفسدين وهم يأجوج ومأجوج.(٤) ومن خلال ما سبق يتضح أن هناك فرقا بين الصيغتين لأن

---

(١) ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن قاسم عاشور ج ١/ ٢٠١، دار ابن حزم – بيروت . ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م، وينظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم . المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية ، جامعة المدينة العالمية ج ١/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢) التحرير والتنوير ج١٦/٢٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٢/ ٣٢٣ـ تحقيق: سامي بن محمد سلامـ ط ٢ـ: دار طيبة للنشر والتوزيع . ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ مـ

(٤) تفسير الكهف، ص١٣٥، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية . ١٤٢٣هـ.

الزيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، وما يجعلنا نتطرق إلى بعض من هذه الصيغ :

تَسْتَطِعْ- تَسْطِعْ :

تواردت صيغة تستطع بثبوت التاء في آية الكهف في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨) وحذفت في قوله تعالى: ﴿... ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٢)، ما هي الحكمة من بقاء التاء من الفعل في الجملة الأولى مع أنها حذفت في الفعل نفسه في الجملة الثانية؟

أشار فريق من العلماء إنه لا فرق بينهم كما أشاروا من قبل في (اسْطَاعُوا – اسْتَطَاعُوا) وأنهما لهجتا لمعنى واحد، وأن حذف تاء الافتعال في " تَسْطِعْ " إنما هو للتخفيف، ذلك لأن (التاء) قريبة في المخرج الصوتي من (الطاء) ويقول الفيروز بادي مفسرا قوله تعالى: "مَا لَمْ تَسْطِعْ" جاءَ فى الأَوَّل على الأَصل، وفى الثاني " لَمْ تَسْطِعْ" على التخفيف؛ لأَنَّه الفرع."(١)، وتبعها بن الأنصاري السنبكي. (٢)

وذهب فريق أ ن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى ومن هؤلاء الألوسي فيرى " تَسْطِعْ" جاءَ فى الأَوَّل على الأَصل، وفى الثاني "تَسْتَطِعْ " على التخفيف؛ لأَنَّه الفرع: إنما خص بالتخفيف لأنه خف على موسى عليه السلام ما لقيه من أمور صعبة على النفس ببيان سببه بعد توضيح الخضر عليه السلام له (٣)، وتبعه ابن عاشور. (٤)

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج١/٣٠٢.

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١ / ٣٤٦.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني٣٣٧.

(٤) التحرير والتنوير ج ١٦/ ٣٨.

إلى جانب هذه العلة اللغوية فإن المقام في الآية الأولى: " ما لَمْ تَسْطِعْ " مقام شرح وإيضاح وتبيين من الخضر – عليه السلام– لموسى– عليه السلام – السر في الأفعال التي قام بها، فلم يحذف من الفعل شيء، أما في الآية الثانية فهي في مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها الخضر – عليه السلام– بكلمة وفارق موسى– عليه السلام– فاقتضى الحذف من الفعل. (١)

كَسَبَ- وَاكْتَسَبَ:

جاءت كسب واكتسبت في آية واحدة في سورة البقرة في قوله تعالي: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ (٢٨٦) وإن كثر استعمال هاتين الصيغتين في القرآن الكريم إلا أنه لم تتفق كلمة اللغويين والمفسرين في تعليل المغايرة بين الفعلين.

فاتجه فريق إلى عدم التفرقة بين الفعلين وأنهما بمعنى واحد، وقد أرجع السبب في تغاير الصيغتين إلى أنهما لغتان لمعنى واحد، وعلى رأس هذا الفريق أبي حيان(٢)، وابن عاشور: يقول في تحريره في تفسير خواتيم سورة البقرة " قَوْلُهُ تعالى: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾(٢٨٦) وأَمَّا كَسَبَتْ وَاكْتَسَبَتْ فَبِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِأَنَّ الْمُطَاوَعَةَ فِي اكْتَسَبَ لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا، وَإِنَّمَا عَبَّرَ هُنَا مرّة :كَسَبَتْ، وَأُخْرَى: اكْتَسَبَتْ تَفَنُّنًا وَكَرَاهِيَةَ إِعَادَةِ الْكَلِمَةِ بِعَيْنِهَا".(٣)، ووافقه ابن الأنصاري.(٤)

---

(١) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، عبير بنت عبد الله، ص ٨٣٩، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

(٢) البحر المحيط ج ٢/٧٦١.

(٣) التحرير والتنوير ج ١/١٣٧.

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١ /٧٠.

وذهب فريق آخر أن هناك فرقا بين الصيغتين، ويكمن سرُ بلاغي في المغايرة، كسيبويه(١)، وأبي القاسم الهروي(٢)، والراضي(٣)، والسيوطي(٤).

فهذا ابن جنى تحدث عن هذه الآية التي في سورة البقرة في مواضع كثيرة في التفريق بين الصيغتين ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٢٨٦) فنجده في كتابه "المحتسب" يبين أن– المولى ﷻ –عبر عن لفظ الحسنة "كسب"؛ وذلك لاحتقار فعل الحسنة إلى عظيم ثوابها؛ والتحفيز على فعلها فقد جاء في سورة الأنعام: قال تعالي: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠)، وجاء بلفظ "اكْتَسَبَتْ" في السيئة، تنفيرا لها وتشنيعا لمن قام بها.(٥)

ويبن العلة في اختلاف الصيغتين وهو أ ن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى: فيقول: "أن "اكْتَسَبَتْ" أقوى من "كَسَبَتْ" وأن أصل ذلك من زيادة معنى فَعَّلَ على معنى فَعَلَ، لتضعيف العين." والإمام الزمخشري يرى إنَّ الاكتساب هو: اعتمال، فلمَّا كانت السَّيئات مما تهواه

---

(١) شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان ج ٤/ ٤٥٣. تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي . دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان . ٢٠٠٨م.

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن ج١ /٢٧٦ . دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر . ط٢، مكتبه الرشد – الرياض . ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام ١٠٩٣ من الهجرة المؤلف: محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مابهم هما، الأساتذة: محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية محمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية محمد محيى الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية

(٤) الإتقان في علوم القرآن ج ٢/٢٠٠.

(٥) المحتسب ج٢/ ١٣٤وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ١٩٩٩م، وينظر نفسه ج ١٩٦/٢، والخصائص ج ٣ /٢٦٨ باب (في قوة اللفظ لقوة المعنى).

النفس وتَنجذب إليه وتأمر به وكانت فيه مشقة وتعب، لذا جُعلت مكتسبة له، ولم تكن النَّفس كذلك في الخير والحسنات فوصفت بما يليق بها من عدم المشقة والتعب فوصفت بالكسب، يقول: "فإن قلت: لِمَ خَصَّ الخير بالكسب والشَّدَّ بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، ولمَّا كان الشَّرُّ ممَّا تشتهيه النَّفس، وهي منجذبة إليه، وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفت بما لا دلالة فيه على الاعتلال"[١] ويبين الإمام الراغب الفروق بين الكسب والاكتساب بان الكسب تختص بالأمور الأخرويّة والاكتساب تختص بالأمور الدنيوية، أو أن الْكَسْبِ ما يفعله الإنسان من أفعال الخير وجلب المنفعة إلى غيره ، وبِالاكْتِسَابِ ما يحصّله الإنسان لنفسه من نفع.[٢] وكذلك فقد ساوى أحد العلماء المحدثين بين الصيغتين وذلك من خلال استعراضه القرآن الكريم في سائر آياته، وتبين له دلالة كل منهما على الخير والشر.[٣]

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن افتعل، تفيد المبالغة والاجتهاد قائلا (فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فَعَل ومنه اكتسب واصطبر واجتهد قال تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾(٢٨٦)[٤]

---

(١) الكشاف ج ١ / ٣٣٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ص ٧١٠.

(٣) الموسوعة القرآنية، خصائص السور- جعفر شرف الدين: ص ١١١، ١١٣ - تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت – ١٤٢٠هـ.

(٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ص ١٧٣، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ط٣، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي ج ٣٨٤/١ - تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود . دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٨ هـ.

وبعد استعراض ما سبق من الآراء نجد أنفسنا تميل إلى الفرق؛ وذلك ان الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى فان الكسب يفيد الخير واكتسب تفيد الشر وكذلك يلعب سياق الكلام الَّذي يُعيّن على فهم سرِّ المغايرة بين الأبنية المتماثلة.

ب- بناء الفعل للمعلوم والمجهول:

قُلْنَا – وقِيلَ:

اختلاف الصِّيغتين (قلنا، وقيل) في الخطاب القرآنيّ، حيث وردت الصِّيغة الأولى في آية البقرة قوله تعالي: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾ (٥٨)، بذكر الفاعل، وهو (نا) الدالة على الفاعلين، والتي تعود على الذات الإلهية، والثَّانية بطرح الفاعل في الأعراف قوله ﷻ: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾ (١٦١).

أرجع الإمام الرازي بناء الفعل للمعلوم (قُلْنَا) في سورة البقرة لأن الله سبحانه وتعالى قد صرح فِي أَوَّلِ الْقُرْآنِ بِأَنَّ قَائِلَ هَذَا الْقَوْلِ هُوَ –سبحانه و تَعَالَى– وذلك بغرض إِزَالَةَ الْإِبْهَامِ وَكذلك السياق التركيبي للآيات السابقة ذَكَرَ في قوله ﷻ (نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ) ثم يعدد النعم التي أصبغها على بني إسرائيل فَاللَّائِقُ بِهَذَا الْمَقَامِ أَنْ يَقُولَ: وَإِذْ (قُلْنَا)، أما في سُورَةِ الْأَعْرَافِ فقد بنى الفعل للمجهول (قِيلَ) فِي قَوْلِهِ تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ) إِبْهَامٌ بَعْدَ تَقْدِيمِ التَّصْرِيحِ بِهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ).[١]، وتبعه ابن حيان [٢]

وإن كان الإمام الألوسي يوافق الرازي وابن حيان ولكنه يزيد نكتة أخرى أن البناء للمجهول من سنن الكبرياء والعظمة المناسبة للذات الإلهية فيقول: "وإيراد الفعل هنا مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبرياء مع الإيذان بأن الفاعل

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج ٢/ ٥٢٦.

(٢) البحر المحيط ج ٥ / ٢٠١.

غنى عن التصريح"(١)، وبهذا صرح ابن جماعة وزاد بأن اختلاف الصيغتين إنما هو قصد التنويع في الخطاب. ففي آية البقرة: افتتح ذكر بنى إسرائيل بذكر نعمه عليهم قال تعالي: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(١٢٢)، ناسب ذلك نسبة القول إليه–ﷻ، وأما آية الأعراف: فافتتحت بما فيه توبيخهم على قولهم لموسى عليه السلام قال تعالي: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (١٣٨)، ثم اتخاذهم العجل، فناسب ذلك "وإذ قيل لهم". وتبعه ابن عاشور أن اختلاف الصيغتين إنما بعود إلى عَادَةِ الْقُرْآن الكريم فِي تَغْيِيرِ أُسْلُوبِ الْقَصَصِ؛ للتنوع واستجداد لِنَشَاطِ السَّامِعِ. (٢)

ولقد انتبه كثير من العلماء للسر البلاغي الكامن في حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول ومن أهم هذه الملاحظ البلاغية هو الاهتمام يكون منصب على الفعل وليس الجهل بالفاعل ويؤكد هذا الملحظ البلاغيّ ابن جني قائلا: "إنَّ الفعل إذا بُنيَ للمفعول، لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل، بل ليُعْلَم أنَّ الفعل قد وقع به، فيكون المعنى هذا لا ذكر الفاعل، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء ٣٧]، وهذا مع قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق ١٦]، وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق ٢] فالغرض في نحو هذا المعروف: الفاعل إذا بُنيَ للمفعول إنَّما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حَسْبُ، وليس الغرض فيه ذِكْرَ من أوقعه به فاعرف ذلك"(٣).

(١) روح المعاني ج١١/٣٦٧.
(٢) التحرير والتنوير ج ٩/ ١٤٤.
(٣) المحتسب ج١/٦٦ .

من خلال ما تقدم يكاد المفسرين يجمعوا على أن المقام في سورة البقرة تعدد النعم فصرح بالفاعل وهو الله أما في سورة الأعراف فهي في سياق توبيخ بني إسرائيل على فعلهم فكان الاهتمام في الآيات منصب على الفعل نفسه فحذف الفاعل للعلمية.

طَبَعَ – طُبِعَ:

طُبِعَ، وطَبَعَ فهاتان صيغتان يتقاربان لفظًا ومعنى في السياق فبين السِّياقين خمس آيات وردتا في سورة التَّوبة في الصِّيغة الأولى: قوله تعالى: ﴿**وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ (٨٧)، ببناء الفعل للمجهول والصِّيغة الثَّانية: قوله تعالى: ﴿**وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٩٣)، ببناء الفعل للمعلوم.

ويفسر الخطيب الإسكافي تلك المغايرة الصرفية بين البناءين أن صيغة المبني للمجهول (طُبِعَ) جاءت مناسبة لتركيب الآية المفتحة لها في التوبة قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ**...﴾، فوفق بين آخر هذه الآية، وأول الآية التي قبلها. أمَّا الصِّيغة الثَّانية طَبَعَ فجاءت في سياق شرح و بيان حال أصحاب الأعذار من المتخلفين عن الجهاد في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ (التوبة ٨٦)، وقوله سبحانه: ﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**﴾ (التوبة٩١) ثم اتبع توبيخ للمتخلفين بغير عذر فأتى بالفاعل وهو لفظ الجلالة (الله) لأن المقام موضع تنبيه وتأكيد وتخويف وتحذير في قوله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (التوبة:٩٣)، فأفعالها مسندة إلى الله صريحا، فختم الآية بمثله

ووافقه في ذلك الكرماني(١)، والزركشي(٢)، والفيروزبادى (٣)، وابن الأنصاري السنبكي(٤).

ولكن ابن عاشور يذهب إلى القول بانه جاء التصريح بالفاعل في الصيغة الثانية لبيان أن الطبع فيهم غير الطبع الذي جبلوا وخلقوا عليه في سياق الصِّيغة الأولى، فهو طبع على طبع؛ لغضب الله عليهم فَحرمهم النَّجاة من الطَّبع الأصليِّ، وزادهم عماية.(٥)

وإن كان الشيخ الشعراوى يميل في خواطره أن نسب الطبع إلى الله فهو أقوى طبع وأما بناء الفعل للمجهول فهو من تراكم الأسباب التي توالت على نفوسهم، فطبع مع النفاق الذلة والاستهزاء والكذب، وإخلاف الوعد ثم يشير إلى ملمح جمالي إلى سر بناء أفعال التكليف للمجهول رغم أن الحق سبحانه هو الذي يكلف، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى**﴾ (البقرة ١٧٨)، وقوله سبحانه: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ...**﴾ (البقرة ١٨٠)، فيقول مبينا السر الجمالي "والسبب في ذلك أن الله ﷻ لم يكلف كافراً بأي تكليفات إيمانية؛ فسبحانه لم يكلف بأي حكم من أحكام الإيمان إلا من آمن به وأسلم له؛ لذلك فعندما يخاطب سبحانه بالتكليف يقول: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ" ومن هذا نعلم أنه سبحانه لم يكتب

---

(١) أسرار التكرار في القرآن: ص ١٣٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣/ ١٤٥ . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه . مصر. ١٩٥٧ م.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١/ ٢٣٥.

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١/. ٢٣٨.

(٥) التحرير والتنوير ج ١١/ ٦.

فرضاً أو مهمة على من لم يؤمن، والإنسان يدخل في الإيمان باختياره، فإذا دخل في الإيمان كتب الله عليه. إذن: فالإيمان هو مدخل الفريضة. [1]

ج- تعاقب أبنية الفعل:

وردت صيغة سبَّح في فواتح ثلاث سور: الحديد، والحشر، والصَّف، في قوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١)، وجاءت يُسِّبح في فاتحة الجمعة، والتَّغابن، وهي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(١). فما الفرق الدلالي بين الصيغتين؟

أشار الخطيب الإسكافي بأن ما أتى بصيغة المضارع (يُسَبِّحُ) للدلالة على تجدّده ودوامه وما أتى بصيغة الماضي للدلالة على أن التسبيح قد استقرّ في قديم الأزمان، فحصل من هذا التنوّع بين الماضي والمضارع أي أن تسبيحه سبحانه وتعالي كان ومازال في تجدد واستمرار بمراده. [2]، ووافقه أبو حيان [3]، والرّازيُّ [4]، والشَّوكانيّ [5]، والإمام الألوسيُّ [6].

والإمام الشعراوي لم يبتعد في خواطره عما قاله العلماء فهو يرى أن (المتتبع لألفاظ التسبيح في القرآن يجد أنه ثابت لله تعالى قبل أن يخلق المسبِّحين في قوله تعالي: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

---

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر ج ٩/ ٥٤١٩: ٥٤٢١ ـ مطابع أخبار اليوم . مصر.١٩٩٧ م.

(٢) درة التنزيل: ص ٥٤٠

(٣) البحر المحيط ج١ / ١٠٠.

(٤) مفاتيح الغيب ج ٢٩ / ٢٠٦.

(٥) فنح القدير ج٥ /٢٠٤.

(٦) روح المعاني ج٢٧/١٦٥وينظر: حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة . تأليف: عماد بن زهير حافظ: ص ٨٨ – الجامعة الإسلامية .بالمدينة المنورة – الطبعة: السنة السادسة والثلاثون العدد (١١٢) – ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ (الإسراء١)، ثم بعد أن خلق الله:﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر ١). وما يزال الخلق يُسبِّح في الحاضر: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة ١)، فتسبيح الله كان وما يزال إلى قيام الساعة، لذلك يأمر الحق سبحانه نبيه ﷺ ومعه أمته ألاَّ يخرج عن هذه المنظومة المسبِّحة، فيقول له: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلي١).(١)

وذهب الكرماني (٢) وابن الأنصاري السنبكي إلى أن المولى سبحانه وتعالى: عبر بلفظ المضي(سَبَّحِ) في الحديد، والحشر، والصَّف. وبالمضارع (يُسَبِّحُ) في فاتحة الجمعة، والتَّغابن. وبالأمر (سَبِّحِ) في الأعلى، وفي الإسراء بالمصدر؛ ليشمل الجهات المشهورة لهذه الكلمة وبدأ بالصدر في الإسراء لأنه الأصلُ في الاشتقاق، ثم بالمضي لسبق زمنه، وحدوثه ثم بالمضارع لدلالته على الحال والاستقبال، ثم بالأمر لخصوصه بالحال مع تأخره في النطق به في قولهم: فَعَلَ، يَفْعَل، افعَلْ. بالأصل. (٣)

ولكن "القيسي" يرد هذا الرأي ويري فيه نوع من الطرافة أكثر من التعليل الدقيق؛ لأنه كلام مبني على أن المصدر أصل المشتقات، وهو رأي المدرسة البصرية، وأما المدرسة الكوفية فيرون إن الفعل هو أصل المشتقات،

---

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر ج ١٢٠٦٣/١٩.

(٢) البرهان في متشابه القرآن: ص ٣٠٨

(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج١ / ٥٥١، وينظر فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: شرف الدين الطيبي ج ١٥ / ٢٢٩، التحقيق: إياد محمد الغوج. القسم الدراسي: د. جميل بني عطا. المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. ، ٢٠١٣ م .

وهذا يدل على أنه رأي غير مجمع عليه، فكيف يؤول كلام الله سبحانه وتعالى؟ وبهذا يكون سبيلا لكلام هو الطرافة وليس أكثر من ذلك.(١)

وذهب بعض العلماء المحدثين إلى ربط أواخر سورة الواقعة وهو الأمر بالتسبيح: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة٩٦) ومفتتح (الحديد)، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحديد ١) ،فترى الوجود كله في سماوته وفى أرضه، في محراب التسبيح لله، وهذا الإعجاز دليل بأن ترتيب سور القرآن توفيقي من الله كما هو الحال في ترتيب الآيات في السور والحروف في الآيات.(٢)

يتبن مما سبق أن اختلاف الصيغتين يرجع إلى أن الله أخبر بأنه (سَبّحِ) له ما في السماوات والارض بصيغة المضي ثم اتبعها بصيغة المضارع ليدل على أن التسبيح لله دائم لا ينقطع، وكذلك حين أخبر بصيغة الماضي جاءت في سياق آيات دلت على الزمن الماضي، وأتى بالفعل في صيغة المضارع (يُسَبِّحُ) في سياق آيات تحكي عن المستقبل فتباين الصيغ دليل على أن التسبيح لله كان ومازال قائم لذاته سبحانه وتعالى.

يُرْسِلُ – أَرْسَلَ:

اختلفت صيغتا الفعل: يُرسل التي للمضارع وأرسل التي للمضيّ، حيث وردت الصِّيغة الأولى (يُرْسِلُ) في سياق إرسال الرياح من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف ٥٧)، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (الروم ٤٨)، وجاءت الصِّيغة الثَّانية (أَرْسَلَ) في السِّياق نفسه من قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا

---

(١) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، ص٧٧- مؤسسة الرسالة، دار التيسير– ١٩٩٦م.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) ج ١٤/٧٤٥، دار الفكر العربي – القاهرة. د.ت.

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان٤٨) وقوله تعالي: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (فاطر٩) فهل يوجد فرق دَّلاليُّ بين الصيغتين؟

نجد أن الخطيب الإسكافي نظر إلى السياق التركيبي للآيات؛ لأن ما قبلها في سورة الأعرف ذكر الْخَوْف والطمع وَهُوَ قَوْله: وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا(٥٦)، وهما يكونَانِ فِي الْمُسْتَقْبل لأنها أفعال تتعلق بالزمن المستقيل فجَاء بِلَفْظ (يُرْسِلُ) الْمُسْتَقْبل وفقا لما قبله وكذلك الحال في سورة الرّوم قبله: ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ (٤٦)، فجَاء بِلَفْظ الْمُسْتَقْبل وفقا لما قبله ، وَأما فِي سورة الْفرْقَان فَإِن الآية قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (٤٥)، وَبعدها الْآيَات تدل على الماضي كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ (٤٧)، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ﴾ (٥٣)، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٥٤)، فَكَانَ الْمَاضِي أليق بِهِ ومناسباً للسياق اللغوي التركيبي للآيات، وأما فِي فاطر مَبْنِيّ على أول السُّورَة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)، وهما بِمَعْنى الْمَاضِي لَا غير، فَبنى على ذَلِك فَقَالَ (أَرْسَلَ) بِلَفْظ الْمَاضِي ليسير الكلام على وتيرة واحدة.[١]، ووافقه الكرماني[٢]، في حين ارجع أبو حيَّان هذا الاختلاف بين الصِّيغتين؛ للتَّصُّرف في البلاغة، وللتَّفنُّن في الكلام. [٣]

ولاحظ ابن الزبير تلك النظرة إلى السياق التركيبي في الآيات ففي سورة الأعراف تقديم يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ (٥٤)، بلفظ المستقبل فناسب يرسل (مضارعا) وسياق آية الرُّوم جاءت - كذلك - بلفظ المستقبل لمجيء الآية

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج ٢/٥٨٨ ، ٥٩٢ .
(٢) أسرار التكرار في القرآن: ص ١٢٠.
(٣) البحر المحيط ج٩ /١٦.

قبلها بلفظ المستقبل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ (٤٦)، فناسب ذلك يرسل؛ ليكون موافقا لما قبله.

أمَّا آية الفرقان فكانت الآيات السابقة واللاحقة بلفظ المضيّ؛ لأنَّ قبلها قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٤٧)، فقد ذكر الله تعالى في الآيات: ما أنعم به على عباده بصيغة المضيّ ومنها إرسال الرِّياح من هذه النِّعم، كما أنَّ بعد الآية جاءت آيات بلفظ المضي قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾(٥٣)، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ (٥٤) ، فكان المناسب: لفظ المضيّ.[١]، وافقه الفيروزابادى [٢]، وتبعه ابن الأنصاري السنبكي.[٣] وذهب ابن جماعة في تفسيره لآية فاطر بأنه:" تقدم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ (٣)، وهو المطر، وإنما يذكر بشكر النعم الماضية على زمن الشكر، فناسب (أَرْسَلَ) ماضيا".[٤]

فمن خلال ما سبق يتضح أن (أَرْسَلَ) تكون في السياق الذي يروي زمن المضي، وأما (يُرْسِلُ) تكون في سياق التكلم عن المستقبل للمناسبة التركيبية وهي التي بنى عليها أكثر القدامى كلامهم.

ثالثًا: الأبنية بين الاسمية والفعليَّة:

من إحدى طرق التَّلوين في الخطاب هي: المغايرة بين الاسم والفعل في التَّركيب؛ فنجد في القرآن الكريم أبنية متماثلة من حيث الاسميَّة والفعليَّة، فترد في موطن بالصِّيغة الاسميَّة، وفي موطن آخر بالصِّيغة الفعلية. فهل يوجد فرق دلالي بينهما؟

---

(١) ملاك التَّأويل ج١ / ٣٧٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٢٠٩، ٢١٠.

(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١/ ١٩٥.

(٤) كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ص ١٧٧.

أكد الإمام عبد القاهر الجرجاني بوجود هذا الفرق قائلاً:" أنَّ موضوعَ الاسم على أن يُثْبَتَ به المعنى للشيءِ من غيرِ أن يَقتَضي تجدُّده شيئاً بعْدَ شيء. –وأما الفعلُ فموضوعُه على أنه يقتضي تَجدُّدَ المعنى المُثْبَت به شيئاً بعْدَ شيء" .فإذا قلتَ: "زيدٌ منطلقٌ"، فقد أَثبتَّ الانطلاقَ فعْلاً له، من غيرِ أن تجعلَه يَتجدَّد ويَحْدُثُ منه شيئاً فشيئاً، بل يكونُ المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل"، و "عمرو قصير": فكما لا تقصد ههنا إلى أن تَجعل الطولَ أو القِصَر يتجدَّد ويَحدثُ، بل تَوجِبُهما وتُثْبِتُهما فقط، وتَقْضي بوجودِهما على الإطلاقِ، كذلك لا تتعرَّضُ في قولك: "زيدٌ منطلقٌ" لأكْثَرَ مِن إثباتِهِ لِزَيد، وأَمَّا الفعلُ، فإنهُ يُقْصَدُ فيه إلى ذلك، فإذا قلتَ: "زيدٌ ها هو ذا يَنْطلقُ"، فقد زَعمْتَ أنَّ الانطلاقَ يقعُ منه جُزءاً فجزءاً، وجعلْتَهُ يُزاولهُ ويُزَجِّيه." (١)

وسنحاول في النُّصوص الآتية تحليل الفرق في المعنى عند المغايرة بين الاسم والفعل في الأبنية المتماثلة:

أ- بين الفعل المضارع واسم الفاعل:

يُخْرِجُ – ومُخْرِجُ:

فقد وردت الصِّيغتان:(يُخْرِجُ) و(وَمُخْرِجُ) ، في سورة الأنعام في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (٩٥)، حيث جاء المعطوف فيها اسمًا (وَمُخْرِجُ) وفي سياق قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (يونس ٣١، الروم ١٩)، حيث جاء المعطوف فعلاً (يُخْرِجُ).الأصل في الكلام أن يعطف الفعل على الفعل، والاسم على الاسم. ولكن في هذه الآيات الكريمات ظهرت مغايرة وهو عطف اسم على فعل لم تتفق كلمة اللغويين والمفسرين في تلك المغايرة في قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ فهو

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني ج ١/ ١٧٥ . تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر . ط٣، مطبعة المدني . بالقاهرة – دار المدني . بجدة . ١٩٩٢م.

معطوف على الفعل الذي قبله، أم على اسم الفاعل في: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾. فقد ذهب الخطيبُ الإسكافيُّ إلى مراعاة التَّناسُب والتَّناسق اللَّفظيّ في التَّركيب. من حيث الآيات السابقة واللاحقة فيكون معطوف على اسم الفاعل الذى قبله في قوله: فَالِقُ الْحَبِّ، واللاَّحق في قوله: فَالِق الإصْبَاح. واحتج بأنَ اسم الْفَاعِل يشبه الِاسْم من حيث دخول العلامات الخاصة بالاسم وهو الْألف وَاللَّام والتنوين والجر وَغير ذَلِك وَيُشبه الْفِعْل حيث يعمل عمله وَلَا يثنى وَلَا يجمع إذا عمل وَغير ذَلِك وَلِهَذَا جَازَ الْعَطف عَلَيْهِ بِالْفِعْلِ نَحْو قَوْله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (الحديد ١٨)، وَجَاز عطفه على الْفِعْل نَحْو قَوْله: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ (الأعراف١٩٣)، فَلَمَّا وَقع بَينهمَا ذكر لفظ الْفِعْل ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، و﴿ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾، بِلَفْظ الِاسْم عملا بالشبهين وَأخر لفظ الِاسْم. أمَا فِي قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ لِأَن مَا قبله وَمَا بعده أَفعَال فهو من معجزات الْقُرْآن. (١)

وتبعه طائفة من العلماء كالكرماني وابن جُمَّاعة (٢)، والفيروزابادي (٣)، والشوكاني (٤) وابن الأنصاريّ السنبكي (٥)، وأبوحيان (٦).

وأضاف الكرماني نكتة جمالية في سر الابتداء بالفعل (يُخْرِجُ) بأنه: "اجتمع ثلاثة حروف من حروف العلة دفعة واحدة، وهي: الواو والياء من النوى، والواو من (وَمُخْرِجُ) وهي واو العطف، ونقل عن لفظ الاسم إلى لفظ

---

(١) أسرار التكرار: ص ١١١.

(٢) كشف المعاني: ص١٦٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١/ ١٩٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢/٤٦٧.

(٥) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١/١٧٢، وينظر نفسه ج ١/ ١٢٥

(٦) البحر المحيط ج٤/٥٩١.

الفعل لما كان (يُخْرِجُ) ، (وَمُخْرِجُ) بمعنى واحد."[١] وتبعهم الإمام الزمخشري أنه عطف (وَمُخْرِجُ) على (فَالِقُ) لا على الفعل (يُخْرِجُ) فيقول إنما عطف اسم الفاعل ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، بعد قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ على ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ لا على الفعل، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ موقعه موقع الجملة المبنيَّة ".[٢]

وإن كان الإمام الرازيُّ يعلل لنا:" لما أتى صيغة (يُخْرِجُ) بصيغة الفعل في إخراج الحى من الميت والعدول إلى صيغة (وَمُخْرِجُ) اسم بإخراج الميت من الحيّ بين الاسم والفعل، وهي أنَّ: "الحيّ أشرف من الميت فوجب أن يكون الاعتناء بإخراج الحيّ من الميت أكثر من الاعتناء؛ فلهذا المعنى وقع التَّعبير عن القسم الأول بصيغة الفعل، وعن الثَّاني بصيغة الاسم؛ تنبيهًا على أنَّ الاعتناء بإيجاد الحيِّ من الميت أكثر وأكمل من الاعتناء بإيجاد الميت من الحيّ". [٣]

ويؤكد بعض العلماء المحدثين السر في تنويع نسق التعبير بين (يُخْرِجُ) و (وَمُخْرِجُ) إيقاظا للحس حتى يلتفت للقدرة الباهرة، وهو يعرض آيات الله في الكون. [٤]

وعلى هذا فقد اختار القرآن الكريم الفعل في إخراج الحي من الميت لأن من صفات الحي كونه دائما في حركة وتغيير فناسبه الفعل الذي يوحي بالحركة والتغير وليس الثبات فحين اختار مخرج الاسمية مع الموت لأن فيه ثبات وعدم حركة فهي من مناسبة الاسم لما وضع له.

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج ٢ / ٥٢٦، ٥٢٨.

(٢) الكشاف ج٢/٣٧٤.

(٣) مفاتيح الغيب: ج١٣ / ٩٣.

(٤) مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها ، حامد صادق قنيبي: ص ١١: الجامعة الإسلامية. بالمدينة المنورة. الطبعة: السنة الحادية عشر – العدد الثالث – ربيع الأول ١٣٩٩هـ

أنصَحُ- نَاصِحٌ:

وردت هاتان الصِّيغتان أنصح وناصح في قصتين مختلفتين في الأعراف الأولى في سياق قصة نوح – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ (٦٢) علي صيغة الفعل، والثَّانية في سياق قصة هود – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿بَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٦٨)، على صيغة الاسم، فما سرُّ المغايرة بين الصيغتين؟ وهل يوجد فرق دلالي؟

أوضح الخطيبُ الإسكافيُّ سر المغايرة بين الصيغتين يرجع إلى الصفة التي اتصف بها كل نبي، فنوح – عليه السلام – وصفه قومه بالضلال في الأعراف قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٦٠). وأمَّا هود – عليه السلام – فوصفه قومه بالسفه في الأعراف قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٦٦) ، والضَّلال من صفات الأفعال! والسَّفاهة من صفات النَّفس، وهي معنىً ثابت وضدها الحلم، فلمَّا عيب نوح – عليه السلام – بفعل مذموم نفاه بفعل محمود بل بأفعال محمودة. وأمَّا هود – عليه السلام – فَرُمِي بالسَّفاهة، وهي صفة مذمومة ثابتة فلا يَتحوّل عنها الإنسان سريعًا، فكان المناسب نفي ذلك بصفة أو صفات ثابتة ناصح أمين، أي ثابت في النُّصح. [١]

ولم يبتعد الإمام الرازي عما قاله الإسكافي ويعتمد فى كلامه على ما ذكرهَ الشَّيْخَ عَبْدَ الْقَاهِرِ الجرجاني فِي كِتَابِ دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ: " أَنَّ صِيغَةَ الْفِعْلِ تَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ سَاعَةً فَسَاعَةً وَأَمَّا صِيغَةُ اسْمِ الْفَاعِلِ فَإِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى الثَّبَاتِ وَالِاسْتِمْرَارِ فلمّا كان من عادة نوح – عليه السلام – العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم، وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل فقال: وأنصح لكم. وأمّا هود – عليه السلام – فقوله: وأنا لكم ناصح يدلُّ على كونه مثبتًا في تلك النَّصيحة

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج ٢/ ٦٠٥.

مستقرًا فيها الْفِعْلِ. [١]، كذلك لم يبتعد ابن جماعة [٢]، وابن الزبير الغرناطي[٣]، ووافقه ابن حيان [٤]، وابن عاشور [٥]، وآخرون[٦] عما قاله الرازي والاسكافي. فحين ذهب الكرماني إلى القول بمراعاة النسق التركيبي للآيات وربطها بالسابق لها واللاحق قال في قصة نوح: ﴿أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾(٦٨) بلفظ المستقبل على القياس المستقبل مع المستقبل، وهو تقديم الفعل (أبَلِّغُكُمْ)، وأما في قصة هود، فقد سبق في أول القصة، قال تعالي: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٦٦)، ثم قال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٦٨)، ليقع في مقابلة قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، مقابل اسم الفاعل باسم الفاعل.[٧]

وأيده الفيروزآبادى قوله تعالي: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾، في قصّة نوح وقال تعالي في قِصّة هود: ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾؛ لأَنَّ ما في هذه الآية (أبَلِّغُكُمْ) بلفظ المستقبل، فعطف عليه (وَأَنْصَحُ لَكُمْ) كما في الأعراف الآية الأُخرى: ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ (٩٣)، الماضي (على الماضي) ، فكن في قصّة هود قابل باسم الفاعل قولهم له: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ليقابل الاسم بالاسم. [٨]

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج ١٤/ ٣٠٠.
(٢) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى: ص١٧٩.
(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ج ١/ ١٩٧.
(٤) البحر المحيط في التفسير ج ٥/ ٨٧.
(٥) التحرير والتنوير ج ٨/ ٢٠٣.
(٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي ج ٨/ ٤٥٤ ـ ط٤ الناشر: دار الرشد –دمشق –١٤١٨ هـ.
(٧) غرائب التفسير وعجائب التأويل ج ١/ ٤١١.
(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١/ ٢١١.

ومن خلال استقراء الحديث عن نوح- عليه السلام - في القرآن الكريم نجد أنه استعمل صيغة الفعل الدالة على التجدد والدوام، لطول مكث نوح في دعوته التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما.

ب- بين الفعل المضارع والمصدر:

يُكَذِّبُونَ - تَكْذِيب

وردت صيغة (يُكَذِّبُونَ) في سورة الانشقاق قوله تعالي: ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ**﴾ (٢٢)، وصيغة المصدر (تَكْذِيبٍ) في البروج قوله تعالي: ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ**﴾ (١٩).

أشار الخطيب الإسكافي إلى أن الصيغتان بمعنى واحد، ولكن أتى باللفظين مختلفين، مراعاة للفواصل القرآنية والسياق اللغوي ، فصيغة المضارع؛ مراعاة لما قبلها، فى الانشقاق لقوله تعالى: ﴿**فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (٢٠)، ﴿**وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ**﴾(٢١)، ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ**﴾ (٢٢)، فكانت الفواصل التي تقدمتها على يفعلون فجعلت هذه تابعة لها مع صحة المعنى، والثَّانية في فواصل بياء أو واو، في البروج قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ**﴾ (١٧)، ﴿**فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ** ﴾ (١٨)، ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ**﴾ (١٩)، ﴿**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾ (٢٠)، وعلى ذلك بُنيت السُّورة فكان حملها على نظائرها من السُّور أولى مع صحَّة اللَّفظ والمعنى. [١]

ووافقه في مراعاته السياقين اللُّغويّ والحاليّ؛ وكذلك مراعاة لفواصل الآيات القرآنية: الكرمانيُّ [٢]، والأنصاريُّ [٣]، وبعض التفاسير الحديثة. ومنهم

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج١ / ١٣٥٤.

(٢) البرهان في متشابه القرآن: ص ٣٢٣.

(٣) فتح الرحمن: ص ٤٥٤.

ومنهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فيرى أنه مراعاة للسياق فقط وليس للفواصل القرآنية.(١)

ولكن ابن الزبير الغرناطي يرى أن المولى سبحانه وتعالى استعمل صيغة المضارع في آية الانشقاق فقد تقدمها وعيد يستحق في الآخرة من انشقاق السماء وإلقاء الأرض ما فيها، وهو لم قع بعد والكافرون مكذبون به فجئ بصيغة الاستقبال؛ ليكون مناسباً لتركيب الآيات السابقة التي أتت في السورة وتحدث عنها المولى سبحانه، أما في آية البروج فكانت الآيات تحكي قصص الأقوام السابقة من فرعون وثمود وحديث هؤلاء الأقوام قد مر زمانه ومضى وإنما جيء بالمصدر؛ ليحرز تماديهم في الكذب وأن ذلك شأنهم أبداً.(٢)

ويذهب الإمام الألوسي (٣)، وتبعه ابن عاشور في تفسير سُورَة البروج قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ (١٩)، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٢٠)، (بَلِ) أفادت إِضْرَابٌ انْتِقَالِي يُّبأن حال المكذبين بالنبي محمد (ﷺ) والإعراض عن الاعتبار بحال من سبقوهم من الأمم بتكذيبهم الرسل فحالهم وهم مستمرون عَلَى التَّكْذِيبِ مُنْغَمِسُونَ فِيهِ انْغِمَاسَ الْمَظْرُوفِ فِي الظَّرْفِ وَاللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْوَعِيد والتهديد. (٤)

وكذلك يبن بعض العلماء المحدثين النكتة البلاغية في استخدام القرآن صيغة (تَكْذِيبٍ) مسبوقة بحرف الجر في قائلاَ: "بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي) ج ٨/ ٤٨. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت – لبنان،١٤١٥هـ –١٩٩٥م.

(٢) ملاك التأويل ج ٩٤٨/٢.

(٣) روح المعاني ج ٣٠ /١١٩.

(٤) التحرير والتنوير ج ٣٠/ ٢٥٢ وينظر: التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله تحقيق: غلام نبي التونسي ج ١/ ٢٣، مكتبة الرشدية – الباكستان –١٤١٢هـ.

تَكْذِيبٍ"، مجاز مرسل علاقته الحالية لأن التكذيب معنى من المعاني ولا يحلّ الإنسان فيه وإنما يحلّ في مكانه فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته الحالية وعدل عن يكذبون إلى جعلهم في التكذيب وأنه لشدته أحاط بهم إحاطة البحر بالغريق والسوار بالمعصم وفي الوقت نفسه جاء بالتكذيب نكرة للدلالة على تعظيمه وتهويل أمره. (١)

وكذلك يرى ابن عثيمين في تفسيره: بأن حال الذين كفروا بمحمد ﷺ، وكأنهم منغمسون في التكذيب، والتكذيب محيط بهم من كل جانب وهذا أبلغ في الانشقاق من قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ (٢٢)، في هذا الموضع وقد تكون (يُكَذِّبُونَ) أبلغ في موضع آخر غير هذا الموضع لأن القرآن قد يأتي بالكلمتين المختلفتين في موضعين وتكون كل واحدة منهما في موضعها أبلغ من الأخرى، والذين كفروا يشمل كل من كفر بالله ورسوله سواء كان من المشركين أو من اليهود أو من النصارى، أو غيرهم.(٢)

ومن خلا ل ما سبق يتضح أن استعمل المصدر تكذيب وسبقها حرف في التي تفيد الظرفية والحالية وكأن الكذب محاط بهم منغمس فيهم متمكن منهم كتمكن الوعاء بما فيه، وأما استعماله صيغة يكذبون بالمضارع فيفيد الاستمرار والاستقبال على هذه الحالة.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ج ٢/ ٨٦، ط ٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص، سورية – ١٤١٥هـ، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم المؤلف: محمد عبد الخالق عضيمة ج٨٦/٢.

(٢) تفسير جزء عم ج ١/ ١٤– إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، ط٢، دار الثريا للنشر والتوزيع– الرياض –١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

المبحث الثاني

أحوال أبنية الألفاظ

المطلب الأول

بين الإفراد والجمع في الأسماء الظاهرة

من وسائل اختيار القرآن الكريم لألفاظه اختيار بعض الكلمات في صورتها المفردة في سياقات، ثم توظيفها مرة أخرى في صورتها الجمعية في سياقات أخرى؛ مراعيا في ذلك للتلوين الصوتي لهذه الكلمات، وما يترتب على هذا التلوين من توابع دلالية وجمالية موظفة في هذه السياقات مما يحقق له التناسب الصوتي، والانسجام التأليفي للآيات القرآنية٨، ومن ذلك:

لفظ (دَار) مفردا وجمعا:

فقد جاءت دَار مفردة في الأعراف قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٧٨)، وجمعا في هود قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٦٧)، فما الحكمة من اختلاف الصيغتين؟ وهل هناك فرق دلالي؟

هناك خلاف بين العلماء حول هذه القضية القرآنية:

اعتمد الكرماني على فهم الدلالة المعنوية للألفاظ، وربط تلك الدلالة بسياق النظم القرآني؛ فيقول: " قوله تعالي: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ على الوحدة، وقال: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾، حيث ذكر الرَّجْفَةُ – وهي الزلزلة– وحد الدار، وحيث ذكر الصيحة جمع؛ لأن الصيحة كانت من السماء؛ فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتصل كل واحد بما هو لائق به"(١) وتبعه الفيروزابادي (٢)

(١) أسرار التكرار في القرآن: ص١٢.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١/١٨٠.

وتبعة في ذلك د/محمد داود في معجمه فاعتمد- هو الآخر- على اللفظ وارتباطه بالسياق القرآني، فقد أورد في معجمه: " أفرد لفظ الدار في آية الأعراف؛ لأن الرجفة- وهي الزلزلة- دمرت بلدهم تدميراً؛ فجاء اللفظ واحداً باعتبار بلدهم المدمَّر. وجمع اللفظ في آية هود؛ لأن الصيحة جاءت من السماء، وهي أقوى وأعنف من الرجفة، فجاء اللفظ مجموعاً لبيان عظم التدمير وقوته وفداحة آثاره."(١)

أما الخطيب الإسكافي: فذهب إلى أن المواضع التي تقدم فيها ذكر النبي بأنه أخو قومه، كما في الأعراف قوله تعالى : وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا(٧٣)، وقوله تعالى: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا(٨٥)، حينما أورد عاقبة أمرهم جاءت كلمة (دَار) مفردة، وعلل ذلك بأنهم أولاد أب واحد، ودار واحدة وصاروا بالإيمان فرقة واحدة، ولكن عندما قدَّم ذكر النبي ومن آمن معه، كما في هود قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (٦٦)، وفى هود قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (٩٤). فحينما أورد عقاب الكافرين جاءت كلمة (دَار) جمع، وعلل ذلك بقوله: " وكل موضع أخبر عن تفرقه بينهم، وإخراج النبي ومن آمن منهم معه، أخبر عنهم بالإخبار الدال على تفرق شملهم، وتشتت أمرهم، وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد ودار واحدة، وأن يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة ". (٢)

وأما ابن جماعة فقد نظر إلى أن المراد (دَار) بلدهم المزلزل؛ لأنه بلد واحدة، والمراد بالرجفة الزلزلة العظيمة أما المراد بالصيحة: صيحة من السماء، والمراد بديارهم: منازلهم المقيمين فيها فهي كثيرة لذلك جمع(٣)، ولكن ابن الأنصاري يري أن الإفراد في الديار لأنها عذبت بالزلزلة، وهي تختصُّ

---

(١) معجم الفروق: ص٤٨٩.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل ج / ٦٢٠.

(٣) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى: ص ١٨٠.

بجزءٍ من الأرض، فناسبها الإفراد. وأما الصَّيْحة، وهي من السَّماء، وهي زائدةٌ على الرجفة، فناسبها الجمعُ. (١)

فمن هذا التوظيف القرآني استعمال بعض الكلمات في حالة الجمع دون مفردها؛ وذلكما نجده ونلاحظه في استعمال كلمة (الأرض) التي لم ترد في القرآن الكريم إلا مفردة دائماً ؛ من التعريف والتنكير وشتى الحالات الإعرابية، في كل المواضع التي ذكرت فيها ،وحتى إذا ذكرت كلمة (السماء) مجموعة جيء بكلمة (الأرض) معها مفردة في كل موضع، ولما احتاج القرآن إلى الجمع لكلمة (الأرض) عدل عنها إلى تعبير يفيد الجمع لكنه ليس بجمع لها، وذلك في سورة الطلاق قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾ (١٢)، فلم يقل (سَبْع أَرضِين) ، واكتفي بجمع لفظ (مِثْلَهُنَّ).

وكلمة (الأرض) لو أريد جمعها على قياس جموع التكسير لقيل (آراض) كأجمال، أو (آروض) كفلوس. إلا أن هذا الأمر مستثقل لأن جمع كلمة (الأرض) على هذا النحو تخلو من الفصاحة والذوق العربي الصحيح يقول ابن القيم معللًا استعمال اللفظ مفردا في القرآن الكريم: " ليس فيه من الفصاحة والحسن والعذوبة ما في لفظ السماوات، وأنت تجد السمع ينبو عنه بمقدار ما يستحسن لفظ السماوات. ولفظ السماوات يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته وعذوبته. ولفظ (الأراضي) لا يأذن له السمع إلى على كره. ولهذا نفادوا من جمعه إذا أرادوه بثلاثة ألفاظ تدل على التعدد كما قال تعالى: ﴿**سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾، كل هذا تفادياً من أن يقال: أراض، وآراض"(٢).

ولكن الأمام الزركشي يرى أن الأرض تعد حكمها حكم الجهات، وأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ السفل والتحت، فهي اسم جنس، وليس المراد العدد، والذات فإن

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١ / ١٩٧.

(٢) بدائع الفوائد ج١/١٠٣- الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان - د.ت.

اريد الأرض المقابلة للسموات بِهَا الذَّاتُ وَالْعَدَدُ أُتِيَ بِلَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى التَّعَدُّدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "**وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**"، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَرْضَ بالنسبة إِلَى السماوات وَسَعَتِهَا كَحَصَاةٍ فِي صَحْرَاءَ فَهِيَ وَإِنْ تَعَدَّدَتْ كَالْوَاحِدِ الْقَلِيلِ فَاخْتِيرَ لَهَا اسْمُ الْجِنْسِ. (١)

ويدلى الإمام الرافعي بدلوه بان السر في أفراد الأرض يرجع إلى النّظم الموسيقى والطبيعة النّغمية للضّاد والخفة في النطق في المفرد، فليس في لفظ الآراضون أو الأرضين من الفصاحة والحسن والعذوبة ما في لفظ السماوات فلفظ السماوات يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته وعذوبته. ولفظ (الأراضي) لا يأذن له السمع إلى على كره. ولهذا نفادوا من جمعه إذا أرادوه بثلاثة ألفاظ تدل على التعدد "وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ"، يقول الرافعي:" ولم يقل سبع أرضين، لهذه الجسأة التي تدخل اللفظ، ويختلّ بها النظام اختلالا ".(٢)

أما من حيث المعنى، فقد كان شائعا بين الناس خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ولا يعلم أحد بسبع أرضين، فجاءت كلمة (مِثْلَهُنَّ)؛ لترفع الغرابة، والإنكار عن وجود سبع أرضين مثل السماء، وكأنه يقول: - سجانه وتعالى- في كتابه العزيز: الذي خلق سبع سماوات خلق سبع أرضين، وهو قادر على ذلك من باب أولى. (٣)، وكذلك فقد يهجر القرآن الكريم التعبير بالكلمة المفردة والعدول عنها بلفظ آخر إذ لم تكن فيه العذوبة التي تسم جمعه؛ وذلك مراعاة لجرس الكلمة، والذوق السليم، وخفة نطقها، وجريانها على اللسان. نلمح ذلك في توظيف القرآن الكريم لبعض كلماته ومنها:

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٤ / ٦ محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

(٢) تاريخ آداب العرب ج١ /١٥٤- دار الكتاب العربي - د.ت.

(٣) جماليات المفردة القرآنية، المؤلف: أحمد ياسوف ج ١ / ١٩، دار المتنبى - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م وينظر : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) ج٢٢٥/٢٢٧الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت.

لفظ (الْأَلْبَابِ) مجموعا:

فمن لفظ "اللّبّ" الذي هو العقل، -لا لفظة "اللُّبّ" الذي تحت القشر- فإنها لا تحسن في الاستعمال إلا مجموعة، وكذلك وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة، ولم ترد مفردة، ففي سورة (ص) قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (٢٩)، وفي الزمر قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (٢١). وقد لمح الإمام الرافعي بحسه العربي الأصيل هذا الجانب الجمالي الرائع الذي اعتمد فيه على الذوقية الخالصة لأصوات كلمة (اللبّ)، وما أدى إليه ذلك من استحالة توظيف واستعمال المفرد منها والعدول إلى توظيف الجمع في السياق التوظيفي للقرآن الكريم، ويرجع السبب في وذلك؛ لاجتماع اللام المشددة مع الباء الشفوية الشديدة؛ مما أدى إلى نوع من الثقل النطقي والسمعي على كلٍ من القائل والسامع مما أدى إلى العدول، وتوظيف لفظة (القلب) بدلاً منها.(١) وأشار ابن الأثير إلى الشرطين اللتين وضعهما العلماء لمجيء لفظة (لب) مفرَدة أحدهما: مضافًا إليها؛ فكقولنا: لا يعلم ذلك إلّا ذو لب، وإن في ذلك لعبرة لذي لبّ، وعليه ورد قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حورٌ ..... قتلننا ثم لم يحينا قتـــلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به .... وهنّ أضعف خلق الله أركانا(٢)

---

(١) تاريخ آداب العرب ج٢ / ١٥٣.

(٢) ديوان جرير ص:٩٥٣ -مطبعة الصاوي ولكن البيت قي الديوان:" وهنّ أضعف خلق الله إنسانا".

(٢) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري- باب الزَّكَاةِ عَلَى الأَقَارِبِ - حديث (١٤٦٢) ج ٢ /١٢٠ (ولكن نص الحديث: "مَا رَأَيْت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن "- تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر- ، دار طوق النجاة -١٤٢٢هـ ، ومسلم - بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ- حديث (٤٣) ج ١ /٨٦ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت-د.ت، وينظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم-المؤلف: محمد بن فتوح حميد الأزدي الحَمِيدي ٢/ ٤٥٢- تحقيق: د. علي حسين البواب- ط٢ ، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

ثانيهما: كونها مضافة كقول النبي- ﷺ- في ذكر النساء: "ما رأيت ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب للبِّ الحازم من إحداكن يا معشر النساء"(١). فإن كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الإضافة لا تأتي حسنة، ولا تجد دليلًا على ذلك إلا مجرد الذوق العربي السليم.

يتضح مما سبق أن الذوق العربي الصحيح ومراعاة النّظم الموسيقي والطبيعة النّغمية للحروف تجعلنا نفضل إفراد بعض الكلمات عن جمعها، أو جمع الكلمة ولا نأتي بمفردها، وإذا لزم الأمر نلجأ للترادف لينوب عن هذه الكلمة حتى لا نخرج عن الطبيعة السليمة.

ب -الجمع والإفراد في الضمائر:

بعد الانتهاء من الحديث عن الإفراد والجمع في الأسماء الظاهرة، نقف على مسألة أخرى وهي: الإفراد والجمع في الضمائر، أو الأفعال المتصلة بالضمائر، ففي سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ (٢٥)، وفى يونس وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ (٤٢).

في آية الأنعام ورد الفعل مسنداً للمفرد، بينما جاء الفعل في آية يونس مسنداً لضمير الجمع؛ فماذا تخصيص موضع بالإفراد والآخر بالجمع؟

أشار الإسكافي إلى أن (مَن) لها استعمالان في اللغة: أحدهما: حملا على اللفظ فَإذا جرت على لَفْظهَا كَانَ مذكراً موحَّدا فجاء في يونس قوله تعالى: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ"، فوحد لقلة المستمعون للقرآن من كفار قريش؛ لأن ما في هذه السورة- الأنعام- نزل في أبي سفيان، والنضر بن الحارث، وعتبة، وشيبة، وأمية وأبي ابني بن خلف وهم قليلون لم يكثروا كثرة من في سورة يونس.

ثانيهما: فَإذا جرت (مَن) على معناها، أفردت وجمعت وذكرت وأنثت، فجاء قوله تعالى: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ"؛ لأن المراد بهم في يونس جميع

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج١/ ٢٩٧.

الكفار، فحمل ههنا مرة على لفظ (من)؛ فوحد لقلتهم، ومرة على المعنى فجمع. (١)، وافقه الكرماني، وابن سيده (٢)، وابن جماعه (٣)، والفيروزابادى(٤)، والسيوطي(٥)، والألوسي.(٦)

يقول الكرماني: " لأن ما في هذه السورة- الأنعام- نزل في أبي سفيان، والنضر بن الحارث، وعتبة، وشيبة، وأمية وأبي ابني خلف، فلم يكثروا كثرة من في يونس؛ لأن المراد بهم في يونس جميع الكفار، فحمل ههنا مرة على لفظ (من)؛ فوحد لقلتهم، ومرة على المعنى فجمع؛ لأنهم- وإن قلوا- كانوا جماعة، وجمع ما في يونس ليوافق اللفظ المعنى". (٧)

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج ٢/ ٥٠٣.

(٢) المخصص ج ٥/ ١٨٠.

(٣) كشف المعانى في المتشابه من المثانى: ص ١٥٩.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٤٧١.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن ج ٣/٢٧١.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٤ص١١٨، وينظر: النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ) ج ١/ ١١٤ –دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت –، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

(٧) أسرار التكرار في القرآن: ص ١٠٦.

المبحث الثاني

التَّنكير والتَّعريف

من إحدى طرق اختيار القرآن الكريم لألفاظه وردت أبنية اختلفت من حيث التَّنكير والتَّعريف في نسيج النَّظم القرآنيّ، ومن ذلك:

أ: لفظ "الحق" بالتَّعريف والتَّنكير:

فقدِ ورد معرَّفًا في البقرة قوله تعالى: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾(٦١) ومنكَّرًا في آل عمران في قوله ﷻ: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾(٢١) وفي آل عمران قوله تعالى: ﴿**وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ (١١٢).

صرح العلماء أن الآيات هي في ذم بني إسرائيل وقد جاءت معرفة بأل فمعناها بغير الحق في اعتقادهم، فيكون التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ في ذمهم، وإن كانت تلك الصفة لازمة للفعل كما في عكسه كقوله: {قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَق} فهل الله يحكم بغير الحق أي من شأنه ومن لازم صفاته الحكم بالعدل.

أشار الكرماني أن سبب التعريف في سورة البقرة إنما يعود إلى أن (الحق) يعود إلى الله تعالى؛ لأنه الموضع التي أحل الله فيها القتل، وهي النفس بالنفس، وهي المعهودة عند بني إسرائيل قتل الْأَنْفُسِ ، وكَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ؛ بدليل قوله تعالى في الأنعام: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ (١٥١)، فكان الأولى أَن يذكر مُعرفا و وَمَا جاء فِي آل عمرَان وَالنِّسَاء نكرَة أَي بِغَيْر (حق)؛ لأنه في معتقدهم وَدينهمْ فَكَانَ هَذَا بالتنكير

أولى[١]، وبهذا قال الإمام االزركشي[٢]، والفيروزابادي[٣]، وابن الأنصاري والسيوطي.[٤]

يقول ابن الأنصاري مؤيداً ما ذهب إليه العلماء في توجيه التعريف في سورة البقرة: "عَرَّف الحقَّ هنا، ونكَّره في "آل عمران" و"النساء"؛ لأنَّ ما هنا لكونه وقع أولاً إشارةً إلى " الحقِّ " الذي أذن الله أن يُقتل النَّفسُ به، وهو قوله: "**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**" فكان التعريف أولى، وهناك أُريد به "بغير حقٍ" في معتقدهم ودينهم، فكان بالتنكير أولى. فإن قلتَ: قتلُ النبِّيينَ لا يكون إلّا بغير الحقِّ، فما فائد " ذلك؟ قلتُ: فائدتُه التصريحُ بصفةِ فعلهم القبيح؛ لأنه أبلغُ في الشناعة."[٥]

وقد خالف الألوسي ما قاله السابقون وفرق بين(أل) التي للعهد وهي التي بنى عليها معظم العلماء تفريقهم بين الآيتين، وبين(أل) للجنس: ويرى أنها للجنس أظهر وأقوى، والمراد بغير حق أصلا إذ لام الجنس المبهم كالنكرة، ويؤيده ما في آل عمران (حق) ولا فرق بين السورتين وأن قتلهم الأنبياء بغير حق باعتقادهم أيضا ويمكن أن يكون فائدة التقييد إظهار معايب صنيعهم. هذا كله إذا كان غير بمعنى النفي- أي بلا حق، أما إذا كان غير - أي بسبب أمر مغاير للحق أي الباطل- فالتقييد مفيد؛ لأن قتلهم النبيين بسبب الباطل وحمايته وهو ما اعتاد عليه اليهود. [٦]

---

(١) أسرار التكرار في القرآن: ص ٧٥ .

(٢) البرهان في علوم القرآنج٣ / ٢١٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١/ ١٤٤.

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ج ٣/ ٢٦١، ٢٦١، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٥) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١ / ٣٠.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ١/ ٢٧٧.

من خلال ما سبق يتضح أن الأنبياء تقتل بالباطل لأنهم لم يفعلوا ما يوجب قتلهم، وأن قتلهم يكون خارج عن الصواب وقول الله (بغير حق) تأكيد؛ كقوله تعالى في الحج: الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)، وفي الأنعام: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (٣٨).[١]

ب - لفظ "البلد بالتَّعريف والتَّنكير:

كذلك ورد لفظة (البلد) معرَّفًا في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥)، ومنكَّرًا في البقرة قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾ (١٢٦)، لم كان في سورة البقرة بلدا نكرة، وفي سورة ابراهيم معرفة؟ فما السر في ذلك؟ وهل يوجد فرق بينهما دلالي؟

أشار الخطيب الإسكافي إلى هذا الخلاف بين الصيغتين من خلال إجابته عن هذا السؤال بوجهين أحدهما: لعب السياق التركيبي واللغوي دوراً أساسياً فإن الدعوة الأولى لإبراهيم- عليه السلام- وقعت، ولم يكن المكان قد جعل بلـ، بل كان وادي مقفر غير آهل للسكن؛ لأن الله تعالى حكى عنه في سورة إبراهيم بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) ، فكأنه قال: رب اجعل هذا الوادي بَلَدًا آَمِنًا. أما السياق اللغوي ووجه الكلام فيه: تنكير بلد الذي هو مفعول ثان، وهذا مفعول أول. ونكر بَلَد حيث كان مكانا من الأمكنة غير مشهور بشيء يميزها بخصوصية من عمارة وسكنى الناس.

(١) البدهيات في القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص ٤٣الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العددان ١٠٣، ١٠٤ - ١٤١٦ / ١٤١٧هـ /١٩٨٦-١٩٨٧م.

والدعوة الثانية: وهي معرفة ب(أل) وقعت، وقد جعل الوادي (بَلَدًا)، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت ومصرته كما سألت ذا أمن على من أوى إليه ولاذ به، وإعراب البلد على مذهب سيبويه: عطف بيان، وعلى مذهب أبي العباس المبرد: صفة وآمنا مفعولا ثانيا، فعرف حيث عرف بالبلدية. والجواب الثاني: أن تكون الدعوتان واقعيتين بعد ما صار المكان بلدا، وإنما طلب من الله تعالى أن يجعله آمنا[١]، وتبعه ابن الأنصاري[٢]، الراغب الأصفهاني[٣].

وكذلك الكرماني تبع الإسكافي ومن معه في تعريف (الْبَلَدَ) إلا أنه لمح وجهاً إعرابيا جعلته يساوي بين الصيغتين في تنكير (بَلَد) فيقول:" وَقيل لِأَن النكرَة إِذا تَكَرَّرت صَارَت معرفَة، وَقيل تَقْدِيره فِي الْبَقَرَة: الْبَلَد بَلَدًا آمِنًا فَحذف اكْتِفَاء بِالْإِشَارَةِ فَتكون الْآيَتَانِ سَوَاء" [٤].

ويبين الألوسي السر البلاغي في التعريف (الْبَلَدَ) فهو: يفيد المبالغة أي بلدا كاملا في الأمن مشهورا به كقولك كان هذا اليوم يوما حارا، والوصف بآمن إما على معنى النسب أي ذا أمن، وإما على الاتساع في الكلام أو الإسناد المجازي، والأصل آمنا أهله فأسند ما للحال للمحل؛ لأن الأمن والخوف من صفات ذوي الإدراك[٥] وافقه الرازي [٦]، والزركشي [٧].

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج ١/ ٢٨٤.

(٢) فتح الرحمن: ص ٣٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص ١٤٢.

(٤) أسرار التكرار في القرآن ص٧٩

(٥) روح المعاني ١/ ٣٨٠

(٦) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي: ص ١٢تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية، الرياض١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م.

(٧) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٦٥.

يتضح مما سبق أن التنكير (بَلَدًا) كان في مكان قفراً فطلب سيدنا إبراهيم – عليه السلام – من الله أن يجعله(بَلَدًا) و(ءَامِنًا)، وأن التعريف في (الْبَلَدَ) إما أنه كان بلداً غير أمن فعرفه وطلب له الأمن، أو كان بلداً آمناً فطلب له ثبات الأمن ودوامه، وقد أتى بعد السكن واكتمال العمران والاستقرار فيه.

ثالثا: التذكير والتَّأنيث:

يعد تنوع الأسلوب القرآني بين التَّذكير والتَّأنيث نوعًا من أنواع التَّرابط النَّصِّي، وله الأثر الواضح في توضيح المعنى. فللأسلوب القرآني له طريقته في المغايرة بين التَّذكير والتأنيث والتي تحمل فائدة أو غرض بلاغيّ، وهو ما سنحاول عرضه وبيانه من خلال النَّصوص الآتية:

أ- التَّذكير والتَّأنيث في الأسماء الظَّاهرة:

من ذلك لفظ ذِكْر بالتَّذكير والتَّأنيث، فورد مؤنثًا في "الأنعام "قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠)، وورد مذكرًا في موضعين، الأوَّل: "يوسف" قوله تعالى: ﴿مَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤)، والثَّاني: التكوير قوله ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧).

ربط السيوطي بين السياق وترابط سور القرآن الكريم فقد اتصلت أول سورة (ص) بأخرها حيث قال تعالي في (ص): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، وربط بينها وبين بداية (الزمر) قال تعالي: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) ، فكأنه قيل: هذا الذكر تنزيل، وهذا تلاؤم شديد بين السور القرآنية بحيث إنه لو أسقطت البسملة لأصبحت الآيتان كالآية الواحدة[١]، وتبعه الألوسي.[٢]

---

(١) أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ص ١٢٨، دار الفضيلة للنشر والتوزيع د. ت.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ١٢ / ٢٢٣ .

وأشار الكرمانيّ إلى دور السّياق اللُّغويّ في التأنيث في آية الأنعام تقدّم قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨) ، وقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٦٩)(١)، وافقه ابن جماعة(٢)، وابن الأنصاريّ.(٣) وكذلك أشار الفيروزابادي إلى موافقة السياق اللُّغويّ في التأنيث في سورة(الأنعام) تقدم قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فناسب ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠). (٤)، بين ابن الزُّبير الغرناطيُّ دور السّياق الأسلوبيّ للآيات السابقة في سورة التَّكوير في تذكير (ذكر).

وهو قوله تعالى في سورة التَّكوير: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩)، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤)، ثم جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧)، مناسبًا لما تقدمه من التذكير. (٥)

يعد السياق عامل أساسي في تذكير الكلمات أو تأنيثها ليحصل التَّلاؤم والتناسب بين آيات القرآن الكريم؛ ولذلك يعد نوعًا من أنواع التَّرابط النَّصّي.

ب- التَّذكير والتَّأنيث في الأسماء الموصولة والضَّمائر:

جاء الموصول والضمير مذكرًا الذي به في السجدة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٠) ، وجاء الموصول والضمير مؤنثًا التي بها في سبأ قوله سبحانه: ﴿نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ

---

(١) أسرار التكرار: ص١٥٥.

(٢) كشف المعاني: ص ١٦٩.

(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ج ١/ ١٧١.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ١٩٤

(٥) ملاك التأويل ج١ / ٣٣٠.

الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (٤٢)،أختلف الاسم الموصول بين التذكير والتأنيث ففي السَّجدة جاء الضَّمير مذكَّرًا راجعًا إلى العذاب، في حين جاء في سبأ مؤنَّثًا راجعًا إلى النَّار فما السر في ذلك ؟ وهل هناك فرق دلالي بين الصيغتين؟

أشار الإمام الإسكافي إلى أن المغايرة في الصيغتين إنما يعود إلى الوصف و الموصوف به ففي آية السَّجدة بعود الوصف مذكرًا (الذي) إلى العذاب، وهو مذكر بينما يعود في آية سبأ الوصف مؤنثًا (التي) إلى النَّار، وهي مؤنثة؛ لأنَّ النَّار في آية السجدة ظاهرة، وهي موضوعة موضع المضمر؛ لما تقدمها، فالنَّار أَضمرت في ﴿**أُعِيدُوا فِيهَا**﴾ وأظهرت بعدُ ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ**﴾ فجاءت مظهرة مكان مضمر، والمضمر لا يوصف، فلم توصف النار، وإنَّما وَصف ما أضيف إليها وهو العذاب، ولم تأت آية سبأ كما في آية السَّجدة؛ لأنَّها في سياقها اللُّغويِّ مظهرة، فجاء الوصف صريحًا للنَّار.[1]، و وافقه الكرماني[2]، وابن الأنصاري[3]، والألوسي[4]، وعضيمة.

يقول الشيخ/عضيمة موافقا لما سبقوه من موافقة القرآن الكريم في الآيات للسياق اللغوي: "إن النار التي في قوله في سورة السجدة ظاهرة في موضع الضمير لتقدم ذكرها في قوله: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا**﴾، فأضمرت (أُعِيدُوا فِيهَا) وأظهرت ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ**﴾؛ أي عذابها، فوقعت مظهرة مكان المضمر. والتي في سورة (سبأ) لم تجيء هذا المجيء، لأنها في مكانها مظهرة. فلما كان المضمر لا يوصف بعد عن الوصف ما حل محله، لأنه سد مسده، فوصف ما أضيف

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ج١/ ١٠٦٧.

(٢) البرهان في متشابه القرآن: ص٢٧٤.

(٣) فتح الرَّحمن: ص٢٣٦.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ١١/ ٣٢٦ .

إليه، وهو العذاب، فجاء: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ولما لم يتقدم ما في سورة سبأ ما منزلته منزلة المضمر صح الوصف له، فأجرى عليه وجاء فجاء: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾."(١)

بينما يوجه أبو حيان الأندلسي إلي السياق التركيبي للآيات وأنه ليس بينهما خلاف ففي آية سبأ كان الكافرون غير متلبسين بالعذاب، بل ذلك أوَّل ما رأوا النَّار إذ جاء عقيب الحشر فوُصِفَت لهم النَّار بأنَّها هي التي كنتم تكذِّبون بها. وأما الذين في السجدة فهم ملابسوا العذاب متردِّدون فيه لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٠) فوصف لهم العذاب الذي هم مباشروه، وهو العذاب المؤبَّد الذي أنكروه. (٢)

في حين يرى ابن عاشور أن القائل في السورتين مختلف ففي سورة سبأ: هُوَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمَحْكِيُّ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ فَهُوَ قَوْلُ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ بدليل قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أنَّ التَّكذيب في آية سبأ يعود على النَّار، وأمَّا في آية السَّجدة فيعود على العذاب فجيء بالاسم الموصول المناسب لكل منهما.(٣)

ج- التَّذكير والتأنيث في الأفعال:

يذكر النُّحاة أنَّ الفعل يجوز إلحاقه تاء التَّأنيث وحذفها أن يكون الفاعل جمع تكسير، كما جاء في سورة (يوسف) قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (٣٠)، وفي (الحجرات) قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج ١٠/ ٤٦٨.

(٢) البحر المحيط ج٧/٢٧٤، وينظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد ج ٥ / ٥٠٠.

(٣) التحرير والتنوير ج ٢٢/ ٢٢٥.

(١٤)، ومن ذلك – أيضًا – أن يفصل بين الفعل وفاعله بفاصل سواء كان الفاعل حقيقيًا (الممتحنة) قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِى إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ (١٢)، أم مجازيًّا، (هود) قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٦٧). [1]

فنجد في القرآن جواز ذكر تاء التَّأنيث وحذفها إذا كان الفاعل جمع تكسير فمن ذلك(هود) قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٦٧) ، وقوله سبحانه في (هود) مخبرًا عن قوم شعيب – عليه السلام –: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٩٤). فقد تعاقب الفعلين (أخذ) في اتصال علامة التأنيث بأحدهما، وسقوطها من الآخر، مع أن الفاعل فى الموضعين(الصَّيْحَةُ) وهو شيء واحد وفصل بينهما في المكانين بحاجز واحد، وهو (الذين ظلموا)؟ فما الفرق بين الصيغتين؟

أشار الخطيب الإسكافيُّ إلى أنَّ حذف التَّاء من الفعل (أخذ) في الآية الأولى للحمل على المعنى، فالصِّيحة والصِّياح بمعنى واحد. فقد حمل على المعنى؛ لأنه أراد الصّياح، وأمَّا الآية الثَّانية فالفعل لحقه التَّاء أخذت وقد أُنِّث على لفظ الصيحة. [2]

وإن كان السيوطي يجعل التذكير لِأَنَّ (الصَّيْحَةُ) فِيهَا بِمَعْنَى الْعَذَابِ وَالْخِزْيِ إِذْ كَانَتْ مُنْتَظِمَةً، (هود) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (٦٦)، وقولة: ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (٩٥) فقوي التَّذْكِيرُ بِخِلَافِ قِصَّةِ شُعَيْبٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا ذَلِكَ. [3]

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج٢/٩٧، ٩٩ –تحقيق: محي الدين عبد الحميد: دار الطلائع للطباعة والنشر والتوزيع–مصر –٢٠٠٩ م

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل ج ٢/٧٦٤

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ج ٣/٤٧١.

وأن كان الإمام الزجاج يري أن التأنيث جيء به على سبيل المطابقة والتناسب اللغوي بين الآيات السابقة، (هود) لمجاورة قوله تعالي: ﴿... **كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾ (٩٥). [١]، وتبعه الزراكشي[٢]، ولكن الفيروزآبادى يلمح تناسب بديعيا في قصّة هلاك قوم شُعَيْب في القرآن الكريم فيعبر مرة بالرّجْفة، ومرّة الظُّلَّة، ومرّة الصّيحة، ازداد التَّأْنيث حُسْناً. [٣]

---

(١) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ج ٣٨/١ – تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري – القاهرة، ودار الكتب اللبنانية – بيروت – ط٤ – ١٤٢٠ هـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٣٦٨/٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب ج ٤٧١/١.

الخاتمة

فتلك محاولة متواضعة في مجال خدمة القرآن الكريم وقد تم التوصل لنتائج عديدة منها:

١- إن دراسة المتشابه اللفظي من أعظم دلائل إعجاز القرآن الكريم -ولابد - من فهم اللغة العربية بكل أركانها: النحوي والصرفي والبلاغي والدلالي والصوتي.

٢- أوضحت الدراسة ارتباط سور القرآن الكريم بعضها من بعض وكذلك ترتيب الآيات في السور والحروف في الآيات، في المعاني والألفاظ؛ كالبنيان الواحد المتانسق في نظمه وشكله.

٣ - أهمية دور السياق التركيبي في تخصيص كل كلمة في مكانها وأن آيات القرآن محكمة متناسبة المعاني والمباني.

٤ -أظهرت الدراسة أن التَّحليل اللُّغويِّ، الذي يعد من الوسائل التي تساعد على التَّماسك والترابط النصي الذي يعين على الفهم الصحيح.

٥ - إن إتيان اللَّفظ القرآني بمعناه ومبناه في مكانه، وأنه يستحيل وضع أخرى مكانها واتضح ذلك من خلال دراسة الصيغ اللفظية وبيان قيمة دراسة الأسلوب القرآني ككل، وليس دراسة كل آية مفردة في فهم آياته العظيمة.

٦-الكلمة القرآنية لا تخضع للقوانين والقواعد التي وضعها العلماء وإنما تخضع للسياق اللغوي والتركيبي التي اتبعها القرآن في نظمه.

٧-أوضحت الدراسة وظيفة السِّياق اللُّغويِّ الذي فسر ووضح كثير من المتشابه اللفظي في القرآن وبيان السمات اللغوية التي اتبعها القرآن في نظمه. والتي تُعدُّ أهم القرائن اللَّفظيَّة

٨-يتضح أن السياق اللغوي والحالي للآيات القرآنية يدلان على القيمة الجماليَّة والفنيَّة في النص القرآني

٩- أظهرت الدراسة أن مراعاة الفواصل القرآنية كان لها أثر واضح في المغايرة في الصِّيغ في السِّياق القرآنيّ.

١٠- أوضحت الدراسة أن الأبنية المتماثلة في سياقها اللُّغويّ والتركيبي والتي تسهم في الترابط النصي التي تعين على فهم الخطاب القرآني.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢-الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السُّيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١٨هـ.
٣-أسرار ترتيب القرآن المؤلف، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع-د.ت.
٤-أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرمانيّ، تحقيق، عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة د.ت.
٥-الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت د.ت.
٦-الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية -د.ت.
٧-إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس المرادي - وضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ -١٤٢١ هـ.
٨-إعراب القرآن المنسوب- للزجاج، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٤، ١٤٢٠هـ.
٩-إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، الطبعة الرابعة- ١٤١٥هـ.
١٠-أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل-الرازي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٣ هـ-١٩٩١م.
١١-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك -تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للطباعة والنشر والتوزيع-مصر -٢٠٠٩ م.

١٢-البحر المحيط في التفشي، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ،١٤٢٠ هـ.
١٣-بدائع الفوائد - ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٤-البدهيات في القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي الجامعة الإسلامية-العددان ١٠٣ و ١٠٤- ١٤١٦ / ١٤١٧هـ/١٩٨٦-١٩٨٧م.
١٥-البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، مصر. ١٩٥٧م.
١٦-تاريخ آداب العرب -صادق الرافعي - دار الكتاب العربي د.ت.
١٧-تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٨-التبيان في إعراب القرآن للعكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة د-ت.
١٩-التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور- الدار التونسية للنش - تونس، ١٩٨٤.
٢٠-تفسير جزء عم - ابن عثيمين - إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، ط٢، دار الثريا للنشر والتوزيع- الرياض -١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
٢١-التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة - د.ت.
٢٢-تفسير الكهف، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية . ١٤٢٣هـ.
٢٣-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلام، ط ٢ـ، دار طيبة للنشر والتوزيع . ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٤- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت. ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٥-تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي مطابع أخبار اليوم. مصر.١٩٩٧ م.
٢٦-التفسير المظهري المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان -١٤١٢ هـ.
٢٧-الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ.
٢٨- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المتنبى، دمشق، ط٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
٢٩-الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح حميد الأزدي الحَمِيدي، تحقيق: د. علي حسين البواب- ط٢، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٠-الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود . دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٨ هـ.
٣١-حجة القراءات - لأبي زرعة الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق، سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د ت.
٣٢-حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة، عماد بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة-العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م
٣٣-الخصائص-أبو الفتح عثمان بن جني- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط٤ -د.ت.
٣٤-دراسات لأسلوب القرآن الكريم -محمد عبد الخالق عضيمة تصدير: محمود محمد شاكر. دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤هـ .

٣٥-درة التنزيل وغرة التأويل، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، تحقيق الدكتور محمد مصطفى آيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٣٦-دلائل الإعجاز في علم المعاني – عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدني، بالقاهرة – دار المدني بجدة- ١٩٩٢م.

٣٧-ديوان جرير – مطبعة الصاوي – د.ت.

٣٨-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني- الألوسي، دار الفك، بيروت،١٤٠٣هـ.

٣٩-سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن القيسي، مؤسسة الرسالة، دار التيسير،١٩٩٦ م.

٤٠-شذا العرف في فن الصرف- تأليف: أحمد الحملاوي-دار الغد الجديد – المنصورة-د.ت.

٤١-شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي حققهما، محمد نور الحسن، وآخرون -الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م.

٤٢-شرح كتاب سيبويه- أبو سعيد السيرافي- المحقق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي . دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ٢٠٠٨ م.

٤٣-صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة -١٤٢٢هـ.

٤٤-صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت-د.ت.

٤٥-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ، المكتبة العصرية – بيروت.

٤٦-فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني- عالم الكتب- بيروت- ١٤٠٥هـ.
٤٧-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: شرف الدين الطيبي، تحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا . المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء . جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. . ٢٠١٣ م.
٤٨-قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير – دراسة تأصيلية تطبيقية إعداد: عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م
٤٩-الكتاب – سيبويه –تح. عبد السلام محمد هارون، ط٣-القاهرة- مكتبة الخانجي- ١٩٨٨م.
٥٠-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٧ هـ.
٥١-لسان العرب – ابن منظور- دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
٥٢-لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ط٣، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٥٣-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – لابن الأثي، تحقيق، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – د.ت.
٥٤-المحتسب لابن جني، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ١٩٩٩م.
٥٥-المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت . ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٥٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان-١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٧-معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د. محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة ،٢٠٠٨ م.

٥٨-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط٣ - دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت . ١٤١٢ هـ.

٥٩-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل-ابن الزبير الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت.

٦٠-مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها المؤلف: حامد صادق قنيبي، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة ،الطبعة: السنة الحادية عشر - العدد الثالث - ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

٦١-الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق، عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت - ١٤٢٠ هـ.

٦٢-الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر، ط٢، مكتبه الرشد - الرياض،١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٦٣-النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فَضَّال بن علي بن المُجَاشِعِي (ت ٤٧٩هـ) - دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.